



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدِيْنَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

ملحق

العدد الرابع والثمانين / السنة الواحدة والخمسون

شعبان – 1442هـ / آذار 2021/3/11م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : 14 لسنة 1992

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل:

radab.mosuljournals@uomosul.edu.iq

URL: <https://radab.mosuljournals.com>

المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية
واللغات الأجنبية

ملحق العدد: الرابع والثمانين السنة: الواحدة والخمسون رجب - 1442هـ / آذار 2021م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
أعضاء هيئة التحرير:

علم الاجتماع	الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب
علم الاجتماع	الأستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي
الترجمة	الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
اللغة العربية	الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرايبة
التاريخ	الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني
اللغة الفرنسية وآدابها	الأستاذ الدكتور كلود فينثور
التاريخ	الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار
التاريخ	الأستاذ الدكتور نايف محمد شبيب
الإعلام	الأستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد
اللغة التركية وآدابها	الأستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو
المعلومات والمكتبات	الأستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى
اللغة الإنكليزية	الأستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي
الأدب الإنكليزي	الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز
اللغة العربية	الأستاذ المساعد الدكتورة أسماء سعود إدهام
الفلسفة	المدرس الدكتور هجران عبدالإله أحمد

سكرتارية التحرير:

مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية	التقييم اللغوي: أ.د. لقمان عبدالكريم ناصر
مقوم لغوي/ اللغة العربية المتابعة:	أ.م.د. أسماء سعود إدهام
إدارة المتابعة	مترجم. إيمان جرجيس أمين
إدارة المتابعة	مترجم. نجلاء أحمد حسين

قواعد تعليمات النشر

- 1- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
[. https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup](https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup)
- 2- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
[. https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=logIn](https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=logIn)
- 3- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبيئته ويمكنه الإطلاع عليها عند تحميل بحثه .
- 4- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :
 - تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف 16/ المتن: بحرف 14/ الهوامش: بحرف 11)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (27) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (25) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (30) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حد ما ذكر آنفًا .
 - تُرتَّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
 - يُحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله 20% .
- 5- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :
 - يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .
 - يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
 - يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلان عن (150) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (3) كلمات، ولا تزيد عن (5) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.
- 6- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكالية البحث).
 - يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثية أو فرضيات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلها أو دحضها علمياً في متن البحث .
 - يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدّد الغرض من تطبيقها.
 - يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
 - يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتبع فيه .
 - يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
 - يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
 - يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .
 - 7- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض. فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .
- تنويه:

تعبر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فاقضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
52-1	أبو عبد الله الحُمَيْدي وكتابه جَدْوَةُ الْمُقْتَبِسِ حازم عبد الله خضر
91-53	القيم الخلقية في شعر النمر بن تولب طارق محمد امين عبدالله الامام و ابراهيم محمد محمود الحمداني
111-92	أثر عقدة النقص في شعر بشار بن برد منتصر عبد القادر الغضنفرى و أحمد عبد الوهاب حبو
131-112	الذاكرة في رواية أحفاد أورشناي لهيتم بهنام بردى جمان فيصل خليل و فيصل غازي النعيمي
165 -132	التصحیحات النحویة للعکبری في كتابه " التبيان في إعراب القرآن" سعد محمد أحمد
214 -166	الصفات البشرية المعنوية السلبية في القرآن المجيد . دراسة دلالية . صلاح الدين سليم محمد أحمد
239 -215	الغزل والغزل المكنى في شعر حميد بن ثور الهلالي رافعة سعيد السراج وإيمان خليفة حامد
272 -240	العنوان ومقصدية الاختيار غانم صالح سلطان و مشعل عايد دبي
315 -273	الأقْبَرَاضُ اللُّغَوِيُّ فِي مُعْجَمِ مَقَابِيسِ اللُّغَةِ لِأَحْمَدَ بْنَ فَارِسَ (ت395هـ) حكيم عبدالنبي حسن إبراهيم
338 -316	فاعلية المتخيل العجائبي في رواية (أبناء السيدة حياة) للكاتب حسين رحيم محمد حميد بلال
371 -339	اللّسانيات العربيّة عند تمام حسّان بين التّأصيل والحداثة - المستوى الصّوتي أمودجًا. سميرة عبدالمالك ,نادية شارف
بحوث التاريخ والحضارة الإسلاميّة	
398 -372	أوضاع التعليم الرسمي في كركوك 1914-1870 لمى عبد العزيز مصطفى
430 -399	إسهامات المرأة في بناء الأربطة في مدينتي بغداد و مكّة المكرّمة في العهد العباسي المتأخّر شهلة برهان عبدالله (1055 - 1258 م)
454 -431	عساكر السكبان ودورهم في بلاد الشام 1635-1595 م أحمد محمد نوري أحمد العالم
بحوث الفلسفة	
493-455	نظرية المعرفة عند لايبنتز زياد كمال مصطفى
555 -494	الهيرمينوطيقا من التأويل إلى التحريف دراسة أصولية نور الدين جميل عبدالقادر التاوطوزي

بحوث علم الاجتماع	
586 -556	الحكايات الشعبية ودورها في تنمية الطفل اجتماعيًا دراسة تحليلية للحكاية الشعبية الموصلية نجلاء عادل حامد
631 -587	تمثيل المرأة في الوظائف القيادية بين التحديات وأليات التمكين (دراسة ميدانية في مدينة الموصل) نور يحيى يوسف
بحوث المعلومات والمكتبات	
675 -632	قواعد الفهرسة ومدى تأثيرها بتطورات الضبط الببليوغرافي ومعايير المبتاداتا رفل نزار عبد القادر الخيرو
بحوث علم النفس التربوي وطرائق التدريس	
730 -676	أثر استخدام أسلوب تحليل النصّ في تحصيل طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية خولة احمد محمد سعيد البريفكاني ونعم محمد باسل قاسم العزاوي
762 -731	أثر استراتيجيّة (Swom) في تحصيل طلبة الصف الرابع العلمي في مادة قواعد اللغة العربيّة شهاب أحمد حنش
788 -763	الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس الإعدادية في محافظة دهوك - قضاء عقرة وعد سعيد طه وشوّاف محمد مصطفى أنموذجًا-
بحوث الآثار والدراسات المسمارية	
809 -789	أسباب الأمراض وطرائق معالجتها عند المصريين القدماء دراسة مقارنة مع العراق القديم عبد الرحمن يونس عبد الرحمن
بحوث الشريعة الإسلامية واصلو الفقه	
836 -810	أهداف الحوار عند اليهود مع الرسول (ﷺ) ظفر عبد الرزاق ذنون و وعد الله صالح جاسم
899 -837	حكم التعامل بالعملات الإلكترونية وضوابطه الشرعية محمود محمد علي الزمناكوبي
920 -900	الإبادة الجماعية من منظور القرآن الكريم والكتاب المقدّس نذير سعيد مصطفى و عبد الحق هنر عوني
976 -921	آراء العلماء في التفرق المقصود في خيار المجلس وتطبيقاته الفقهية (دراسة مقارنة) جمال عزيز أمين

نظرية المعرفة عند لايبنتز

زياد كمال مصطفى*

تأريخ القبول: 2013/5/8

تأريخ التقديم: 2013/4/9

المستخلص :

تتميز عقلانية لايبنتز في نظرية المعرفة بسمتين أساسيتين: الأولى هي الموازنة بين الأسس المنهجية النظرية للمعرفة، والجذور الميتافيزيقية للمعرفة الإنسانية. أما الثانية، فهي محاولته التوفيقية بين نماذج فلسفية متعارضة في موقفها من المعرفة. فما مدى إسهام فيلسوف الموناد في وضع دعائم منطقية للمعرفة؟، وما مدى نجاحه في ربط الاستمولوجيا بالانطولوجيا؟، وما مدى تأثيره في التأسيس لموقف نقدي توفيق من المعرفة؟، هذه الأسئلة هي التي دارت حول محاورها مضامين البحث.

كلمات مفتاحية: المعرفة، الموناد، الميتافيزيقا، مذهب المناسبة.

مشكلة البحث: (المونادات) التي تؤسس لفلسفة لايبنتز العقلية برمتها، لها القدرة على الوصول على الحقائق الأزلية هي التي تمتاز تحديداً بالمعرفة الحدسية القائمة على حقائق العقل لا حقائق الواقع، وأن الأفكار الفطرية موجودة في العقل على سبيل القوة أو الإمكان، وهي تخرج إلى حيز الفعل عن طريق الإثارات الحسية وهذا يعرف (بمذهب المناسبة) في نظرية المعرفة، لذلك وقف لايبنتز من المعرفة موقفاً وسطاً بين العقلانية والتجريبية، مع الاحتفاظ بالأسس الروحية لها.

من هنا تشكلت لدينا فكرة البحث، وحددت مشكلتها في البحث عن الأسس النظرية والميتافيزيقية لنظرية المعرفة عند لايبنتز من جهة، والبحث عن طبيعتها العقلانية التوفيقية القائمة على مذهب [المناسبة] من جهة أخرى.

البحث، أهميته ومنهجه: يعد تفسير لايبنتز الروحي لتكوين العالم تأسيساً حقيقياً لبناء منهجه الفلسفي والتكوين المنطقي لنظرية الإدراك والمعرفة، ذلك أن المونادة أو (الذرة

* أستاذ مساعد / قسم الفلسفة / كلية الآداب / جامعة الموصل .

الروحية) هي الجواهر الفردة التي منها يتألف العالم، التي تبعاً لاختلافها وتمايزها في الوجود تتدرج المعرفة بين الكائنات فيها. هنا تكمن أهمية البحث، أي في بيان الأسس الميتافيزيقية للمعرفة عند لايبنتز، ومدى اختلاف الفيلسوف عن أقرانه من الفلاسفة العقليين في تقديمه وشرحه لمثل هكذا تفسير.

اعتمد البحث منهجاً (تحليلياً موازناً)، من خلال التركيز على تفسير ما هو (منهجي منطقي) وما هو ميتافيزيقي في نصوص وشروحات فلسفة لايبنتز - فيما يتعلق بموضوع البحث - ومقارنة هذين التفسيرين بموقفه من الاتجاهين العقلي والتجريبي في ميدان نظرية المعرفة.

حدود البحث وهدفه: يتركز البحث حول البناء المنهجي للمعرفة في بيان طبيعة مصادرها ودرجاتها وحدودها عند لايبنتز، فضلاً عن الوقوف على الجذور الميتافيزيقية للمعرفة من خلال توضيح صلة الوجود القائم على مبدأ (الانسجام) بالمعرفة، وتفسير فكرة (الحقائق الأزلية) أو صلة العقل بالإيمان. لينتهي البحث إلى تحليل أهمية (مذهب المناسبة) التوفيقية في المعرفة، والمتعلق بموقف لايبنتز النقدي تجاه كل من جون لوك ورينيه ديكارت.

تمهيد: الأسس المونادية لتراتبية المعرفة اللايبنتزية.

يعود أصل مصطلح الموناد (الموناس Monas) إلى اليونان، أي بمعنى الوحدة، وكان يشير لديهم إلى (جواهر فردية) أو ميتافيزيقية. فالموناد هو وحدة بناء الأشياء عند الفيثاغوريين، وهو الذرة الداخلة في تركيب الأشياء عند ديمقريطس، والصورة المصغرة للعالم الذري الذي يجمع بين المادة والروح عند برونو⁽¹⁾.

أما لايبنتز فهو يعرف (الموناد) بأنه: "جوهر بسيط يدخل في تكوين المركب، والبسيط معناه ما لا أجزاء له... وحيث لا تكون أجزاء، لا يمكن أن يكون ثمة امتداد

(1) ينظر: قراءة للمصطلح الفلسفي، ترجمة وإعداد: د. صفاء عبد السلام جعفر، تقديم: د. حبيب

الشاروني، دار الثقافة العلمية - الإسكندرية، ط 1، 1998، ص 55.

ولا شكل ولا انقسام⁽¹⁾. وهذه المونادات هي الذرات الحقبة التي تتكون منها الطبيعة، وهي على الجملة عناصر الأشياء⁽²⁾.

فكتاب المونادولوجيا عند لايبنتز (1714) يتناول فلسفته في الجوهر، وهو يتألف من قسمين: الأول يتضمن فكرة الجواهر التي تؤلف العالم، والثاني يبين الصلة التي تفسر علاقات تلك الجواهر فيما بينها أثراً وتأثيراً. ذلك أن "كل مونادة، وكل مركز جوهري لا بد أن تكون إدراكاته ومنازعه منظمة على أفضل وجه بحيث تتوافق مع سائر الأشياء في مجموعها"⁽³⁾.

هذه الجواهر الفردة ليست في مستويات متشابهة، فهي تشكل سلماً طبقياً يعلو فيه بعضها فوق البعض الآخر في الوضوح والتميز اللذين تعكس بهما العالم. وتختلف في درجة إدراكاتها تبعاً لمنزلتها⁽⁴⁾، وكل جزء من المادة هو عالم ملئ بالمخلوقات، مزود بالنشاطات وليس امتداداً كما تصور (ديكارت). أما المكان والزمان فليسا حقيقيان، كما أن الحركة ليست حقيقية، فالمكان ارتباط وترتيب للأجسام أو (العلاقات الخارجية)، والزمان ترتيب لتعاقب الأحداث أو (المعية)، والحركة ليست إلا أثراً من آثار القوة⁽⁵⁾. فالتغييرات في الجسم البشري تحدث من أجل الجوهر الفرد المسيطر: فحين تتحرك الذراع، إنما يؤدي غرضاً يخدم ذلك الجوهر المسيطر (أي الذهن)، وليس الجواهر الفردة التي تؤلف الذراع. هذه حقيقة ما يظهر للإدراك السليم كضابط للإرادة على

(1) يرفض لايبنتز تفسير ديمقريطس للطبيعة في الانقسام إلى ما لا نهاية، وتفسير ديكارت لها بالامتداد.

(2) جورج فيلهلم لايبنتز، المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، تقديم وترجمة وتعليق: د. عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة، بلا ط، 1978، ص125.

(3) المصدر نفسه، ص101.

(4) ينظر: برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية - الفلسفة الحديثة -، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بلا ط، 2012، ج 3، ص126.

(5) ينظر، علي عبد المعطي، لايبنتز فيلسوف الذرة الروحية، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، بلا ط، 1980، ص234.

الذراع (1). وبذلك تحمل فكرة الموناد عن لايبنتز هدفين رئيسيين، الأول: تفسير جديد للحركة في علم الديناميكا. الثاني: تفسير جديد للميتافيزيقا على أساس هذا العلم، أما الحركة فهي تفسر بمبدأ جديد هو القوة، والقول بالقوة في علم الديناميكا قد دفع لايبنتز إلى القول بوجود جوهر للأعيان، فكل موجود فيه قوة يكون جوهرًا، هذا الجوهر هو الموناد (2).

والحقيقة إن هذه التفسيرات جاءت متفقة مع تصورات لايبنتز للخصائص المعرفية التي تحملها كل مونادة أو كل جوهر: فطبيعة المونادة تقضي بأن تكون جميع معارفنا (باطنة)، إذ ليس للمونادة نوافذ تنفذ منها صور الأشياء. إنها موجود متميز متشخص، فلا يمكن اعتبارها خالية بادئ ذي بدء، وإلا لم تتميز من غيرها تبعاً لمبدأ (هوية اللامتمايزات) (3). وهذا هو السبب في أن أصول المعرفة موجودة في كل مونادة فردية، أو كل (عقل) على حدة، بحيث تنشأ عن طريق نشاطها الباطن، وتتقدم من إدراك إلى إدراك إلى أن تصل إلى أكبر قدر من الوضوح والتميز (4). "وليس باستطاعتنا أن ندرك المونادة عن طريق الحواس (5)، لأن الحواس لا تقدم لنا الجوهر نفسه، لأن المونادة بلا أجزاء ولا أشكال، بحيث لا يمكن تمييزها عن مونادة أخرى إلا عن طريق خصائصها وأفعالها الباطنة التي لا تخرج عن أن تكون هي إدراكاتها، ونزوعاتها (6) (التي هي

(1) ينظر، برتراند رسل، المصدر السابق، ج 3، ص 127.

(2) ينظر: نازلي إسماعيل حسين، النقد في عصر التنوير - كنت -، دار النهضة العربية - القاهرة، ط 2، بلا ت، ص 77 - 78.

(3) ينظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم - بيروت، بلا ط، بلا ت، ص 134.

(4) ينظر: لايبنتز: المونادولوجيا، (تقديم الترجمة) ص 47.

(5) كما أننا لا ندرك المونادات كذلك نحن لا ندرك (العالم الحقيقي)، إذ العالم الذي ندركه والأجسام التي نميزها فيها لها امتداد وشكل ومكان وحركة. والعالم الأخير ليس عالم حقائق وإنما هو عالم ظواهر Phenomena، أو كما يصفه لايبنتز بالعالم المادي. (ينظر: علي عبد المعطي، لايبنتز، ص 234).

(6) الفعل الذي يصدر عن المبدأ الباطن ويسبب التغيير أو الانتقال من إدراك إلى آخر يسميه لايبنتز لايبنتز بالنزوع Appetition، فكل مونادة تشكل طاقة روحية تنزع نزوعاً عضواً إلى التفتح في شكل إدراكات وصور ذهنية. (ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا، ص 133 - 134).

مبادئ التغيير⁽¹⁾. لذا يتحتم اختلاف كل مواندة عن الأخرى، واستحالة وجود كائنين متشابهين تماما في الطبيعة، وذلك تبعا للاختلاف القائم على تلك الخصائص الباطنة⁽²⁾ وهذا هو المبدأ المعروف (بهوية اللامتمايزات).

والعالم ملاء كامل، أي "كل ما في الطبيعة ملاء"⁽³⁾، وفيها تنتشر الموانادات المتميزة والمتباينة والمتغيرة، أما مبدأ تغييرها ففي ذاتها لا خارج عنها إذ يستحيل على علة خارجية أن تؤثر على داخلها. "وبجانب مبدأ التغيير يجب أيضا أن يكون هناك طابع لما يتغير، بحيث يكون علة نوعية الجواهر البسيطة وتنوعها. هذا الطابع الخاص ينطوي بالضرورة على كثرة في الوحدة أو في البسيط. فلما كان كل تغيير طبيعي يتم بالتدرج، كان من الضروري أن تتغير بعض الأشياء ويبقى بعضها دون تغيير"⁽⁴⁾. إذن القانون الذي يشير إليه الموناد هو الاستمرار بالتغيير مع ملاحظة أن مضمون التغيير يقتضي في كل جزء منه (أن يوجد عنصر دائم وعنصر متغير).

لذلك حينما أقر لايبنتز حقيقة الموناد المغلق على ذاته، أخذ يبحث عن كينونة يتعرف هذا الموناد بوساطتها على وجود غيره من الموانادات المستقلة وعن حالاته استقلالاً تاماً، فكان (الله) أو الموناد الأعظم، على اعتبار أن الله وضع في كل موناد مبدأ التمثيل (Representative Principle)⁽⁵⁾ بحيث يكون كل موناد مرآة للوجود "فإن كل جوهر عبارة عن عالم برمته، وهو بمثابة مرآة لله أو مرآة الكون برمته"⁽⁶⁾. وهكذا كان تشبيه الموناد بالمرآة وسيلة لايبنتز لإخراج الموناد من عزلته التامة مع

(1) لايبنتز، المونادولوجيا، ص 102-103.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 128 - 129.

(3) المصدر نفسه، ص 103.

(4) المصدر نفسه، ص 130-131.

(5) ينظر: جلال صادق العظم، دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة، دار العودة - بيروت، ط 3،

1979، ص 12.

(6) جورج فيلهلم لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ترجمة: الطاهر بن فيزة، مركز دراسات الوحدة

العربية - المنظمة العربية للترجمة (بيروت)، ط 1، 2006، ص 122.

المحافظة على استقلاله الذاتي واكتفائه بنفسه⁽¹⁾. وسيمثل ذلك التشبيه لديه التفسير (الميتافيزيقي والمنطقي) المكملين للتفسير الديناميكي. لكن المونادات المنتشرة في العالم ليست كلها في درجة أو طائفة واحدة، فهناك:

1. النفس العاقلة أو الروح (Rational Soul) وهي أرقى المونادات.
2. النفس الحيوانية وهي في درجة وسطى.
3. النفس النباتية (Entelechy) وهي أدنى الدرجات⁽²⁾.

فالإدراكات تتباين وتتدرج بين الوضوح والغموض بالنسبة لطوائف المونادات، فالأولى قد تكون أكثر وضوحاً وتحديداً، والثالثة عكس ذلك، في حين تتوسط الثانية الطائفتين المذكورتين من حيث الإدراك. "إن ليست كل الكائنات أو المونادات المنتشرة في العالم تعرف، وليست هي في مستوى واحد بالنسبة لدرجة معرفتها، لذلك كانت الاختلافات في المعرفة بين موند وآخر أمر ضروري في فلسفة لايبنتز"⁽³⁾. ضمن هذه النظرة إلى الكون، لا يمكن أن يكون لمشكلة الحقيقة إلا حل متفائل هو: "إن كل موندادة تنزع في استمرار إلى الانتقال من إدراك مبهم إلى إدراك أوضح، ويسمى هذا المسعى عند الإنسان بالمعرفة... ولما كانت كل موندادة من صنع الله، فلا يمكن أن تكون سلسلة ادراكاتها خاطئة بالمعنى الحقيقي"⁽⁴⁾.

والإنسان -أسوة بالكائنات الأخرى- مجموعة من المونادات تؤلف وحدة تقوم في "أن هناك مونداداً رئيسية واحدة تعكس التغييرات الحاصلة في بقية المونادات على أوفى وجه وتكون روحاً (Spirit) لها القدرة على الإدراك، والوعي الذاتي، والتذكر، والتفكير. أما في الحيوانات والنباتات فلا تكون الموندادة الرئيسية قادرة على الوعي

(1) ينظر: جلال صادق العظم، المصدر السابق، ص 12.

(2) ينظر: لايبنتز، الموندولوجيا: ص 132، وأيضاً: ص 165.

(3) علي عبد المعطي، لايبنتز: 247-248.

(4) فرانسو غريغوار، المشكلات الميتافيزيقية الكبرى، ترجمة: نهاد رضا، دار مكتبة الحياة -

بيروت، بلاط، بلاط، ص 33-34.

الذاتي والتفكير، بل على الإدراك والتذكر وحسب⁽¹⁾. وبما أن تلك المونادات متباينة، كان لا بد من وجود معيار أو مقياس لمدى وضوح إدراكاتها وتمايزها من جهة، ومدى اقتراب أدلتها المعرفية من الحقيقة من جهة أخرى. وهذا المعيار عند لايبنتز هو الترابط المنطقي. لذلك يقول: " تقوم معرفتنا العقلية على مبدئين كبيرين: مبدأ عدم التناقض⁽²⁾، وبفضله نحكم على كل ما ينطوي على تناقض، وبالصدق على ما يصاد الكذب أو يناقضه. كما تقوم على مبدأ السبب الكافي⁽³⁾، وبه نسلم بأنه لا يمكن التثبت من صدق واقعة أو وجودها ولا التثبت من صحة عبارة بغير أن يكون ثمة سبب كاف يجعلها على هذا النحو دون غيره وإن تعذر علينا في أغلب الأحوال أن نتوصل إلى معرفة هذه الأسباب⁽⁴⁾. ولذلك كان شكل الأقيسة المنطقية - برأي لايبنتز - متضمناً على فن العصمة من الخطأ، بشرط أن نعرفه وأن نحسن استخدامه. فهو نوع من الرياضة الكلية للذهن البشري⁽⁵⁾. فالترابط المنطقي يقتضي أنه كلما ظهرت المونادة ازدياداً في وضوح

(1) كريم متى، الفلسفة الحديثة - عرض نقدي، منشورات جامعة بنغازي (كلية الآداب)، 1974، ص147-148.

(2) يلعب قانون عدم التناقض دوراً هاماً في التفكير والمعرفة. وهو انعكاس في العقل للتحدد الكيفي للأشياء، ففضية عدم التناقض المنطقي تنطبق على منهج عرض المعرفة وتتضمن أن أفكارنا وبراهيننا ينبغي أن تكون متماسكة وخالية من التناقضات. (ينظر: الموسوعة الفلسفية، مجموعة من الباحثين السوفيت، إشراف: م. روزنتال، ب. يودين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: وجورج طرابيشي، دار الطليعة - بيروت، ط 9، 2011، ص294).

(3) يعد لايبنتز أول من صاغ مبدأ السبب الكافي أو العلة الكافية - بالرغم من وروده في مذاهب منطقية سابقة-، وهو " مبدأ عام في المنطق بمقتضاه لا تعد القضية صادقة إلا إذا كان يمكن صياغة العلة الكافية بالنسبة لها. فالعلة الكافية قضية (أو مجموعة من القضايا) معروف أنها صادقة، منها يمكن اشتقاق النتيجة منطقياً. ويمكن التبدليل على صحة العلة بالتجربة، أو يمكن اشتقاقها من صدق قضايا أخرى. وهذا المبدأ يميز ملمحاً جوهرياً للتفكير السليم منطقياً هو البرهان ". (الموسوعة الفلسفية، المصدر السابق، ص450).

(4) لايبنتز، المونادولوجيا، ص143.

(5) جورج فيلهلم لايبنتز، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تقديم وترجمة وتعليق د. أحمد فؤاد الأهواني، دار الثقافة للنشر والتوزيع - مصر، بلا ط، 1983، ص295.

الترابط في إدراكاتها، دل هذا الأمر دلالة مؤكدة أنها سائرة في طريق معرفة متزايدة الصحة⁽¹⁾.

والأحكام التي تعبر عن الترابط في نظام العالم، ويمكن استنباطها بعضها من بعض وفقاً لمبدأ السبب الكافي يسميها لايبنتز بأسم (حقائق الواقع)، أو حقائق فيزيائية أو حقائق ممكنة⁽²⁾. لأن تلك الحقائق ليست ضرورية ضرورة مطلقة (كحقائق العقل) المستنبطة من العلاقات بين التصورات الممكنة والمستندة على مبدأ عدم التناقض. لذلك لا يمكن العثور على السبب الكافي أو العلة الكافية لوجود العالم داخل سلسلة الأشياء الحادثة، لأن " السبب الكافي الذي لا يحتاج الى سبب آخر سواه، يجب أن يقع خارج سلسلة الأشياء الحادثة وأن يوجد في جوهر يكون علة هذه السلسلة، كما يكون كائناً ضرورياً يحمل في ذاته سبب وجوده... وهذا السبب الأخير للأشياء هو (الله)"⁽³⁾، والمبدأ الذي يعمل الله بمقتضاه هو (مبدأ الأحسن)، أو مبدأ الملائمة، وصورة هذا المبدأ في عقلنا هي مبدأ العلة الكافية الذي يعد الأساس في أحكامنا الصادرة عن العقل قبلياً على الوقائع⁽⁴⁾.

المبحث الأول/ البناء المنهجي لنظرية المعرفة عند لايبنتز:
أولاً/ مصادر المعرفة ودرجاتها:

أ- مصادر المعرفة: يتطرق لايبنتز في كتابه (أبحاث جديدة في الفهم الإنساني 1701-1709)⁽⁵⁾ إلى أن هناك مصادر ودرجات تتميز بها المعرفة، أما بالنسبة للمصادر فهي ثلاثة، والتي تمثل: العقل، والإيمان، والحماس أو الإلهام.

(1) ينظر: فرانسوا غريغوار، المشكلات الميتافيزيقية الكبرى، ص34.

(2) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، منشورات ذوي القربى - إيران، بلاط، 2009، ج 2، ص392.

(3) لايبنتز: المونادولوجيا، ص112.

(4) ينظر: موسوعة الفلسفة، المصدر السابق، ج 2، ص392.

(5) يعد هذا الكتاب من أهم أعمال لايبنتز، إذ يعرض فيها مناقشته لنظرية جون لوك في المعرفة وفكرة الروح وأصل المعرفة وصلتها بالأفكار الفطرية.

ينظر لايبنتز للعقل بأنه (الحقيقة المعروفة)، وهو يمكن أن يسمى عقلاً لكونه علة لأحكامنا وعلة الحقيقة نفسها، لذلك كانت الرابطة بين الحقائق ومملكة التفكير هي أيضاً عقلاً⁽¹⁾. وسنلاحظ تأثير هذه النظرة للعقل على تفسيره لحقيقة المعرفة الحسية، فضلاً عن تداخل تلك الملكة بالحدس والاستدلال والرياضيات⁽²⁾.

أما بالنسبة للاعتقاد، أو الإيمان، فيجب فيه " أن نميز بين الوحي الأصيل والتقليدي، الأول انطباع يضعه الله مباشرة في الذهن ولا يمكن تثبيت حدوده. والآخر لا يأتي إلا بالطرق العادية للاتصال ولا يمكنه أن يعطي أفكاراً جديدة بسيطة⁽³⁾. " فالاعتقادات لن تكون اختيارية إلا بطريقة غير مباشرة⁽⁴⁾. وهذا المصدر يتداخل مع درجات المعرفة، وتحديدًا مع الحـدس⁽⁵⁾ والمعرفة الاحتمالية. والإيمان هو الذي الذي مهد للايبنتز الحديث عن الإلهام أو (الحماس الديني)، فمما لا شك فيه هو وجوب التمييز بين ما يحسن قوله، وما هو جدير بأن نعتقده، ومع أن معظم الحقائق يمكن أن نتقبلها بحماس، إلا أن هناك حكم مسبق ضد اعتقاد يجب إخفائه⁽⁶⁾.

فالتخيل لا يمكن أن يكون مرشداً ومصدراً للوحي " والحمامسة تعني أن فينـا شـيـء قـدسي"⁽⁷⁾، وإن هذا النوع من الحماس الديني القائم على الخيال الخصب

(1) ينظر: ليبنتز، أبحاث جديدة، ص 291 - 292.

(2) تتقوم المعرفة الرياضية - كعلم - قبلياً. فالعقل في الرياضيات يستمد مواده من ذاته. وهذه المواد هي رموز يضعها هو، لذلك فالعلم الرياضي يتسم بالمعقولية التامة وهو من عمل العقل التلقائي. (نازلي إسماعيل حسين، النقد، ص 76).

(3) ينظر: ليبنتز، أبحاث جديدة، ص 319.

(4) المصدر نفسه، ص 266.

(5) الوحي مباشر وأصيل بنظر لايبنتز، إلا أنه يجب أن لا نخطئ مطلقاً بنسبته إلى الله، وأن نفهم معناه، ولا يمكن أبداً أن يكون هذا الوضوح أكبر من ذلك الخاص بمعرفتنا الحدسية، وبالتالي يجب أن لا نسلم بأي قضية باعتبارها وحياً إلهياً إذا ما تناقضت مع هذه المعرفة المباشرة، وإلا فلن يبقى أي اختلاف في العالم بين الحق والباطل، ولا أي مقياس بين الاعتقاد وعدم الاعتقاد. ينظر: ليبنتز، أبحاث جديدة، ص 319.

(6) ينظر: ليبنتز، أبحاث جديدة، ص 311 - 312.

(7) المصدر نفسه، ص 331.

الخصب لدى بعض الأشخاص تلزم المعجزات التي تدعم دعواهم حتى نؤمن بهم. لذلك يقول لايبنتز: "لا أعتقد مطلقاً أن تسمح بسهولة لأنفسنا بأن نستخدم الخداع من أجل غاية طيبة. أما عقائد الدين فلا تحتاج مطلقاً لتجليات جديدة ويكفي أن نقترح قواعد ملائمة نضطر إلى إتباعها دون أن يقدم الذي يقترحها أي معجزة"⁽¹⁾. وإذا كان (المتحمسون) يعتقدون بأنهم يتقبلون من الله آراء قضى لهم، وأن لديهم نورا معيناً يعرف بنفسه، فيجب -برأي لايبنتز- أن لا نسمي نوراً⁽²⁾ ذلك الذي لا يجعلنا أن نرى أي شيء⁽³⁾.

ب - درجات المعرفة: تتدرج المعرفة عند لايبنتز وفقاً لمدى تعلقها باليقين وقدرتها على بلوغ الحقائق. فكانت تلك الدرجات هي المعرفة الحدسية، والمعرفة الاستدلالية، والمعرفة الاحتمالية، والمعرفة الحسية.

المعرفة الحدسية هي: "التي تعتمد على الإدراك المباشر لاتفاق فكرتين دون تدخل أية فكرة أخرى وهي الأوضح والأكثر يقيناً وتمدنا بالحقائق الأولية سواء منها الضرورية أو العرضية"⁽⁴⁾. وهذا الصنف من المعرفة سيحدد نظرية لايبنتز إلى حقائق العقل (الضرورية) وحقائق الواقع (العرضية). وتأتي بعد المعرفة الحدسية المعرفة الاستدلالية، وهي ليست سوى تسلسل للمعرفة الحدسية، وهي أقل منها وضوحاً، وتحتاج إلى التحليل والتركيب وتقسيم الصعوبات واستدلال القضايا المتداخلة⁽⁵⁾. أما بالنسبة للمعرفة الاحتمالية فيبدو أن لايبنتز أراد إدخالها كجزء من المعرفة الاستدلالية، بدليل قوله: "عندما كان كوبرنيك الوحيد في اعتقاده - الذي كان دائماً الأكثر احتمالاً من اعتقاد باقي البشر -، إلا أنني لا أعرف هل تقرير فن اعتبار الاحتمال لن يكون

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص335.

(2) يضرب في ذلك مثلاً عن نقده لباركلي، ويرى أننا نستطيع التثبت مما يقوله القديسون - الذين يتقبلون الوحي من الله مباشرة - بالعلامات الخارجية والمعجزات التي تدعم النور الداخلي.

(ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، العرض التحليلي، ص122).

(3) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص332.

(4) المصدر نفسه، العرض التحليلي، ص98.

(5) ينظر: المصدر نفسه، ص145-146.

مجدياً إلا كجزء من معرفتنا الاستدلالية، وقد فكرت في هذا أكثر من مرة⁽¹⁾. لذلك كان من الضروري الاعتناء بالمعرفة الاحتمالية التي أهملها المناطقة⁽²⁾. على هذا النحو يوجد نوعان من المعرفة، كما يوجد نوعان من البراهين، أحدهما ينتج عن اليقين والآخر لن يؤدي إلا إلى الاحتمال، وذلك هو الاختلاف الذي يثيره الشكك أمام الاعتقاديين بالنسبة لوجود الأشياء خارج أنفسنا⁽³⁾.

لذلك كانت الدرجة الرابعة من درجات المعرفة الإنسانية متعلقة بالوجود الخارجي، المعرفة الحسية أو التجربة، والتي كلما أعطينا صفات الأشياء وخواص الطبيعة بدت لنا أكثر معقولة. ولكننا في (التجربة) لا نعرف الأشياء إلا من الخارج⁽⁴⁾. فالمعرفة الحسية هي التي تقرر وجود الأشياء خارج الذات، لذلك كان من الضروري التمييز بين المعرفة الحسية والأحلام⁽⁵⁾.

ثانياً/ حقائق العقل وحقائق الواقع:

يقسم لايبنتز القضايا من جهة (المعرفة والوجود) إلى ثلاثة قضايا هي⁽⁶⁾:

1. قضايا الواقع / وتتعلق بالملاحظة، وهي عامة لكنها غير ضرورية.
2. قضايا العقل / أو القضايا العامة للعقل، وهي قضايا محتملة في حال إمكان فكرة وإيجاد ما يعكسها ببحث أكثر دقة.

(1) المصدر نفسه: 152.

(2) يؤكد لايبنتز على أهمية الاعتناء بالمنطقة الوسطى التي تفصل الحقيقة عن الخطأ، وهي منطقة المحتمل. فالاحتمال موضوع علم ودراسة، تكمن أهميته أولاً على الصعيد المنطقي حيث من الضروري وضع (منطق احتمال) يتناول القضايا الاحتمالية الواردة في المنطق. (ينظر: لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، هامش ص178). " فالاعتقاد القائم على الغريب من الحق (المحتمل) ربما يستحق اسم (المعرفة)، وإلا سقطت معظم المعارف التاريخية وكثير غيرها... لأنه عندما لا نستطيع التقرير المطلق للسؤال يمكننا دائماً تحديد درجة الاحتمال وبالتالي يمكن الحكم حكماً معقولاً أي الأجزاء أكثر ظهوراً ". (لايبنتز، أبحاث جديدة، ص152).

(3) ينظر: لايبنتز، المصدر السابق، ص153.

(4) ينظر: نازلي إسماعيل حسين، النقد، ص75-76.

(5) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة - العرض التحليلي، ص99.

(6) ينظر: المصدر نفسه، ص251-252.

3. قضايا مختلطة / وهي مشتقة من المقدمتين، أي (ملاحظات وقائع)، (وقضايا العقل الضرورية)، ولكن -منطقياً- ليست هذه القضايا أكثر يقينا ولا أكثر عمومية من تلك المقدمتين.

هناك إذن نوعان من الحقائق: حقائق العقل وحقائق الواقع: "حقائق العقل ضرورية وعكسها مستحيل، وحقائق الواقع عرضية، وعكسها ممكن. فإذا كانت إحدى الحقائق ضرورية أمكن عن طريق التحليل أن نجد سببها، وذلك بتحليلها إلى أفكار وحقائق أبسط⁽¹⁾، إلى أن نصل إلى الحقائق الأصلية"⁽²⁾. لذلك يرى لايبنتز أن التكوين الداخلي لبعض الأجسام لا يمكن معرفتها حسياً، ما دامت هي خاضعة لأسباب معقولة كما هو الأمر بالنسبة للتحليل الحاصل للأخضر إلى أزرق وأخضر⁽³⁾ فالتحليل هنا عقلي لا تجريبي.

كذلك يؤكد لايبنتز أن العنصر الحسي الذي تنطوي عليه (المتعة الفنية) هو في نهاية التحليل عنصر عقلي، ويتضح ذلك من قوله: "إن الموسيقى تسحر أفئدتنا، وإن كان جمالها لا يقوم إلا على تناسب الأعداد والعد الذي لا نشعر به شعوراً واعياً، ومع ذلك فإن النفس تقدره على أساس الضربات والذبذبات المنبعثة من الأجسام الرنانة التي تتلاقى في فواصل زمنية معينة. والبهجة التي تجدها العين في النسب هي من نفس هذا النوع، كما أن مباحج الحواس الأخرى ترجع إلى أمور مشابهة، وإن كنا لا نمتلك أن نفسرها تفسيراً واضحاً"⁽⁴⁾.

(1) يقابل التحليل عند لايبنتز البصيرة الطبيعية أو المكتسبة بالخبرة وذلك فن، والتحليل هو الفن الآخر لإيجاد الأفكار الوسيطة (Idea Medium) أو القضايا الأولية. فكل الحقائق الأولية للعقل تكون مباشرة، كمباشرة الأفكار، ذلك أن تلك الحقائق تعرف بالحدس. (ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص 145-146).

(2) لايبنتز، المونادولوجيا، ص 144.

(3) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص 194.

(4) لايبنتز، المونادولوجيا، ص 119 - 120.

ويتضح مما تقدم أفضلية العقل على الحواس، أو أسبقية العقل على المادة عند لايبنتز "لأن ما يبدو لنا مادة ليس هو في الحقيقة إلا مجموعة من العقول الأولية كثرت أم قلت"⁽¹⁾. والفكرة هنا تتعلق بما هو ظاهر (أي المادة)، وما هو حقيقي (أي العقل). كذلك فإن الطابع العقلي - عند لايبنتز - يغلب على علم الطبيعة⁽²⁾، لأنه بالإمكان بقليل من الافتراضات المدعمة بالتجارب أن نثبت قدراً معيناً من الظواهر التي تحدث متففة مع ما يقرره العقل⁽³⁾. وهكذا، إذا تعلق العقل بالموناد، كان حديث لايبنتز عن (النفوس العاقلة)، من حيث أن هذه النفوس "قادرة على التأمل قدرتها على ملاحظة ما يسمى بالأنا، والجوهر والنفوس، والعقل... أي (الحقائق اللامادية). وهذا هو الذي يمكننا من تحصيل العلوم والمعرف البرهانية"⁽⁴⁾. أما إذا كان الحديث عن هذه العلوم والمعارف (منطقياً)، لاقتضى ذلك: التمييز بين الإمكان والواقع، لأن الممكن هو "التصور الخالي من التناقض، والعلاقات بين التصورات الممكنة تتحدد بمبدأ أو قانون عدم التناقض، ويعبر عنها بأحكام ضرورية مطلقة هي (حقائق العقل)، والرياضيات والميتافيزيقا والمنطق والأخلاق حافلة بهذا النوع من الحقائق"⁽⁵⁾.

لذلك كانت إجابة لايبنتز عن السؤال حول المنهج اللازم للوصول إلى اليقين هو: أن مبدأ المبادئ وأساس المعرفة الحقيقية هو حسن استخدام الأفكار والتجارب اعتماداً على التعريفات والبديهيات، أي لا بد من منهج يقوم على فن الاكتشاف والحصول على الأدلة وتوضيح الأفكار المتوسطة وتنظيمها، ويعتمد هذا المنهج على أساسين رئيسيين:

1. البدء بالبديهيات والتعريفات صعوداً إلى إثبات الحقائق⁽⁶⁾.

(1) برتراند رسل، مشاكل الفلسفة، ترجمة: عبد العزيز البسام ومحمود إبراهيم أحمد، مكتبة نهضة مصر، ط 2، 1947، ص 8.

(2) المبدأ الذي يقرر أن (كل شيء يتم آلياً في الطبيعة) هو برأي لايبنتز مبدأ يمكن أن نتأكد منه بالعقل وحده، وليس بالتجارب مطلقاً أيضاً كان عددها. ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص 263.

(3) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص 261.

(4) لايبنتز، المونادولوجيا، ص 108 - 109.

(5) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 2، ص 391.

(6) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص 256 - 258.

2. الاعتماد على (التجربة التي تفسر الظواهر)⁽¹⁾، وتساعد على التنبؤ في مجال الممارسة سواء بالعقل أو بالتجربة⁽²⁾. ولكن هذا السعي للوصول إلى اليقين يتطلب الوقوف على إمكانية المعرفة وحدودها.
ثالثاً/ حدود المعرفة:

بما أن هناك مصادر للمعرفة عند لايبنتز، ومراتب لها، فالمعرفة ممكنة، ولا يمكن الشك فيها أو الوقوف منها موقفاً لا أدرياً. "إذ لا يمكن أن نمتلك أي فكرة عن تصور إذا كانت المعرفة افتراضية **Sup positive** فحسب، فالمعرفة ممكنة"⁽³⁾ لكن معرفتنا محدودة لأسباب عديدة، منها⁽⁴⁾:

1. (محدودية معرفتنا قياساً بوفرة أفكارنا)، فنحن لا نستطيع الإمام بكل ما نرغب في معرفته، فضلاً عن ما لدينا من أفكار مختلطة لا نعرفها معرفة كاملة.
2. ضرورة الاكتفاء بالاحتمال و الإيمان في معرفة الأمور التي لا تحتاج إلى أدلة فلسفية أو معجزات مثل (خلود الروح) و (الدين).
3. حقيقة صلة الفكر بالمادة، وصعوبة معرفة الأفكار التي هي من إنتاج الروح لا الجسم المادي. فضلاً عن وجود أسباب للجهل والخطأ.
4. اقتصار معرفتنا على (الروابط) بين الأفكار والظواهر، نظراً لظهور أفكار غامضة ومختلطة ناتجة عن الصفات الحسية والاعتماد على التجربة.
5. اقتصار معرفتنا على - الظاهر - أحياناً.

لكن إرادة تحديد المعرفة عند لايبنتز لا تتطلب من الإنسان أن يمتلك هذا الإحساس أو ذلك في الحالة الحاضرة، ولكنها تتطلب منه أن يستعد للحصول عليها أو لعدم

(1) يشير لايبنتز في هذا المجال إلى ما حققه ببيكون في صياغة القواعد التي طبقت فيما بعد في مجال العلوم الطبيعية. كما يشير إلى ما حققه كل من (ديكارت) و(اسبينوزا) اعتماداً على المبدأ الذي يقرر: "إن كل شيء يتم في الطبيعة آلياً". (ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص262-263).

(2) ينظر: لايبنتز، المصدر السابق، ص261.

(3) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص177 - 178.

(4) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة - العرض التحليلي، ص100-101.

الحصول عليها⁽¹⁾ " فنحن لن نصل أبعد مما نتمنى... لأن ما لدينا من تجارب عديدة يمكن أن تمدنا بالمعطيات التي تفوق الكفاية بحيث لا ينقصنا سوى فن استخدامها"⁽²⁾. بيد أن هذا لا يعني أننا عاجزون عن الاهتداء إلى معرفة أي شيء معرفة حقة. فأقصى ما ينشده لايبنتز هو: وضع حدود لما بوسعنا أن نعرفه عن الطبائع الجزئية للموجودات وأنماط الموجودات وحقائقها المنتزعة من الواقع فحسب⁽³⁾.

وأول ما يعترضنا في المعرفة ويدعونا إلى التسليم بحدودها هو رغبتنا في معرفة أفكار ليست باستطاعتنا أو إمكاننا، إذ " أحياناً يحدث للبشر أن يبحثوا عن وأن يخلقوا صعوبات حيث لا توجد صعوبات بأن يطلبوا ما لا يستطيع، وأن يشتكوا بعد ذلك بعدم قدرتهم وبمعرفتهم المحدودة"⁽⁴⁾. كذلك فإن معرفتنا لعالم (المادة) لا يعني معرفتنا لعالم (الروح)، لأن " المادة لن تستطيع إنتاج اللذة والألم أو الإحساس في أنفسنا، إنها الروح هي التي سنتجها بنفسها، اتفاقاً مع ما يحدث في المادة"⁽⁵⁾. وبما أن الموندات - المكونة للأجسام - جميعاً لا مادية، فإن تصورنا للعالم الخارجي لا يمكن أن يكون إلا ظاهرياً (أي مجموعة ظواهر)⁽⁶⁾.

من هنا كانت الروابط هي المجال الأوسع لمعارفنا⁽⁷⁾ لأن الارتباط بين (الروح والجسد) الذي تنقصنا معرفته في الأفكار يعود إلى أن " التأثيرات الآلية للأجسام ليس لها أي ارتباط بأفكار الألوان، الأصوات، الروائح، الأذواق، اللذة، الألم. وأن ارتباطها لا يعتمد إلا على الرغبة الطيبة وإرادة الله الحرة... فنحن لدينا كل الأفكار الواضحة واللازمة لمعرفة الأجسام، وليس لدينا التفصيل الكافي للوقائع، ولا الحواس النافذة التي

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص266-267.

(2) المصدر نفسه، ص174.

(3) ينظر: ريتشارد شاخنت، رواد الفلسفة الحديثة، ترجمة: أحمد حمدي محمد، الهيئة المصرية

العامّة للكتاب، بلاط، 1997، ص62.

(4) ليبنتز، أبحاث جديدة، ص195.

(5) المصدر نفسه، ص165.

(6) ينظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص133.

(7) ينظر: ليبنتز، أبحاث جديدة، ص166 - 167.

توضح الأفكار الغامضة أو الممتدة بحيث ندركها كلها⁽¹⁾. ولايبنتز يجمل نوع الاتفاق بين الأفكار في نوعين فقط هما: المقارنة، (التي تعطي الاختلاف أو التطابق)، والموازرة في (دعم الذاكرة بعملية التدوين). "إذ لا يمكن أن نتعلم شيء ليس لنا عنه بعد في نفوسنا فكرة، هي بمثابة المادة التي تمثل تلك الفكرة صورتها"⁽²⁾. وذلك يتعلق بنظرية التذكر التي يعود بها لايبنتز إلى أفلاطون.

لذلك كان من الصعب تقرير العلوم بدون كتابة، ما دامت الذاكرة لن تكون متأكدة بما فيه الكفاية، وليست بالشيء الذي يعتمد على إرادتنا⁽³⁾. فالذاكرة تمد النفوس بنوع من الاستنتاج الذي يحاكي العقل، وإن وجب تمييزه⁽⁴⁾ عنه⁽⁵⁾. فمن الملاحظ فعلاً أن ذاكرتنا ذاكرتنا تخدمنا أحياناً. حتى أن صور الأحلام من الغموض بحيث لا نمك الحرية في ردها إلى غيرها فيما بعد⁽⁶⁾.

المبحث الثاني/ الجذور الميتافيزيقية لنظرية المعرفة عند لايبنتز:

أولاً/ صلة المعرفة بالوجود:

ينتقل لايبنتز من دائرة الفكر إلى دائرة الوجود (حاله كحال ديكارت)، وهذا ربط بين الأبستمولوجيا والأنطولوجيا⁽⁷⁾ أي بين نظرية المعرفة ومبحث الوجود، وذلك يعني أن تفكير لايبنتز يسير بمستويين معرفيين:

1. مستوى الحقيقة الميتافيزيقية المطلقة (عالم الموندات)، ويخضع لقانون العلة الغائية.

(1) المصدر نفسه، ص175.

(2) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص180.

(3) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص135 - 136.

(4) على اعتبار أن الاستنتاج تجريبي، وأن ما يحاكي العقل يجب أن يكون استدلالياً عقلياً نظرياً، وإلا لم يوجد فرق بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان الذي لا تتم استنتاجاته من إدراكاته إلا عن طريق مبدأ (الذاكرة). ينظر: لايبنتز، الموندولوجيا، ص140.

(5) لايبنتز، الموندولوجيا، ص139 - 140.

(6) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص250.

(7) هذا ما أكده لايبنتز في رسالته إلى فوشيه. (ينظر: علي عبد المعطي، لايبنتز، ص261).

2. مستوى الظواهر الطبيعية والأجسام المادية، ويخضع لقانون العلة الفاعلة⁽¹⁾.
والحقيقة أن فلسفة لايبنتز ترد (عالم الظواهر) والحس إلى (عالم المونادات)،
وتصف بأن وجود الأول ناتج عن الثاني⁽²⁾. وهذا الفصل بين عالم الظواهر المحسوسة
وعالم الحقيقة الميتافيزيقية هو تقليد فلسفي قديم عند الفلاسفة العقلانيين منذ بارمنيدس.
لهذا فإن لايبنتز لم يتوقف كثيراً عند العالم الأول، لأن تركيزه الفلسفي كان على
فكرة الحدس العقلي والبصيرة من جهة، والمعتمدة على (منهج ذوقي وحدوس باطنية
داخلية)، كذلك على المنهج الاستدلالي الذي يقوم على (الاستنباط والاستنتاج) من جهة
أخرى. فالبحث عن صلة الفكر بالوجود عند لايبنتز يتطلب التساؤل المتضمن: إلى أي
نوع من المعرفتين يميل لايبنتز، المعرفة الحدسية، أم المنهج الاستدلالي؟
يتفق لايبنتز مع لوك في أننا نعرف وجودنا بالحدس، ومعرفة الله بالاستدلال،
والأشياء الأخرى بالإحساس، وإن الحدس الذي يجعلنا أن نعرف وجودنا هو واضح تام
لا يمكن الشك فيه، ويضيف: أن الإدراك المباشر لوجودنا وأفكارنا يمدنا بالحقائق
الأولية البعدية أو الخاصة بالواقع، أي التجارب الأولى وكذلك القضايا المتطابقة التي
تشمل الحقائق الأولية القبلية⁽³⁾.

لكن لايبنتز - رغم تأييده للأفكار الفطرية- يعترض على استدلالات ديكارت
لفكرة الوجود من فكرة الله، ولا يعتقد بأن تكون تلك الاستدلالات كاملة، إذ يقول: "كيف
ينتج الوجود عن هذه الفكرة، أن يوجد شيء أكثر من أن لا يوجد أو الوجود يضيف
درجة على العظمة أو الكمال، أو كما يعلن ديكارت الوجود هو نفسه الكمال"⁽⁴⁾.
وصحيح أن الجواهر المخلوقة تابعة لله الذي يحفظها، وينتجها باستمرار
بضرب من الفيض مثلما تنتج أفكارنا عنا⁽⁵⁾. لكننا ذوات معرضة للخطأ إذا أردنا تحديد

(1) ينظر: أيوب أبو دية، العلم والفلسفة الأوربية الحديثة من كوبرنيك إلى هيوم، دار الفارابي -

بيروت، ط 1، 2009، ص185.

(2) ينظر: جلال صادق العظم، دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة، ص9.

(3) ينظر: ليبنتز، أبحاث جديدة، ص235.

(4) المصدر نفسه، ص239.

(5) ينظر: ليبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص142.

غايات الله أو وصاياه ومراميه، فذلك يحصل حين نعتقد أن الله لم يخلق هذا العالم إلا لأجلنا⁽¹⁾. " فالله وحده هو الذي يملك المعرفة الواضحة بكل شيء. وقد قيل بحق أن مركزه يقع في كل مكان، أما محيط دائرته فليس موجوداً في أي مكان، إذ أن كل شيء حاضر بالنسبة إليه حضوراً مباشراً، دون أدنى بعد عن هذا المركز"⁽²⁾.

والله وحده يتميز بأنه لا يحصل إلا على المعارف الحدسية، ويجب دائماً معرفة أن هناك حقائق لا حصر لها تخفى على (نفوسنا) إما تماماً أو لفترة من الزمن، إذا ما أردنا الوصول إلى تلك الحقائق بقوة النتائج وبالاستدلال، وأحياناً بالتخمين⁽³⁾. وسيكون "الفريق الأكثر حكمة هو الذي يحسم برأي في الأمور المعروفة معرفة قليلة، وأن يقنع بأن يحكم بوجه عام أن الله لا يمكن أن يعمل شيئاً لا يكون مليئاً بالخير والعدالة"⁽⁴⁾.

فلايبنتز يرى بأن خيرية فعل الله تبرز في النظام الذي خلقه في العالم، لذا فإن "الله لا يخلق شيئاً خارج النظام... مع أن درجات فهمنا له تختلف وتتغير بحسب إدراكنا النظام الذي اختاره الله لتسيير العالم"⁽⁵⁾. لذلك فإن كل مواندة متناهية تصنع قراراتها بين البدائل الممكنة المنبسطة أمامها، فتختار ما تعتقد أنه الأفضل، ومع ذلك فإنه حتى الأرواح تختار ما هو سيء، لأن إدراكاتها تكون غامضة مختلطة. والله وحده هو الذي يختار دائماً أفضل الممكن⁽⁶⁾. لكن هناك - باستمرار - علة كافية⁽⁷⁾ لكل فعل وكل تجربة تجربة في حياة كل مواند.

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص158-159.

(2) لايبنتز، المونادولوجيا، ص116.

(3) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص309-310.

(4) المصدر نفسه، ص325.

(5) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص107.

(6) ينظر: أوليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: د. محمود سيد أحمد، تقديم ومراجعة:

د.إمام عبد الفتاح إمام، التنوير للطباعة والنشر - بيروت، ط 1، 2010، ص143.

(7) العلة الكافية عند لايبنتز تمثل المستوى الميتافيزيقي من حيث المبدأ القائل: " ما من شيء يتم

وقوعه بغير أن يكون في إمكان من يعرف الأشياء معرفة كافية أن يقدم سبباً يكفي لتحديد علة

وقوعه على هذا النحو لا على نحو آخر ". (لايبنتز، المونادولوجيا، ص111).

ففي الله تكمن: 1- القوة (التي هي مصدر كل شيء)، 2- المعرفة⁽¹⁾ (التي تحتوي على الأفكار المتنوعة)، 3- الإرادة (التي هي علة التغييرات أو الإبداعات التي تتم وفقا لمبدأ الأصلح). وهذا هو الذي يطابق الموضوع أو الأساس، وملكة الإدراك وملكة النزوع لدى الموندات المخلوقة⁽²⁾. لكن إذا كانت هذه الصفات في الله لا متناهية أو كاملة بصورة مطلقة، فهي في الموندات المخلوقة مجرد تقليدات لهذه الصفات. وهكذا لا يوجد ما يؤثر فينا من الخارج سوى الله، وكأننا هنا بإزاء التعبير الأفلاطوني عن (واهب الصور)، من دون أن يمنعنا ذلك من التفكير بأفكارنا الخاصة: لأن " الله وحده موضوعنا المباشر الخارج عنا، وإنما نرى كل شيء من خلاله. فحين نرى الشمس والكواكب، فالله هو الذي (وهب لنا) فكرة هذه الشمس وهذه الكواكب، وهو الذي يحفظ لنا هذه الأفكار ويدفعنا إلى أن نفكر فيها بالفعل... فالله هو النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان قادم إلى هذه الحياة"⁽³⁾.

ثانياً/ مبدأ الانسجام المسبق:

على الرغم من دخول قواعد المنهج الديكارتي في صلب مشروع لايبنتز المعرفي من حيث وضوح الأفكار وتميزها، إلا أن فلسفته لا تقوم على استخدام العقل السليم ضمن تلك القواعد، إنما هي قائمة على مبدأ الانسجام الأزلي (المسبق)⁽⁴⁾. لأن نقد لايبنتز لحل ديكارت وتلاميذه لمشكلة اتحاد النفس بالجسم، هي التي قادته إلى فرضية الانسجام المسبق⁽⁵⁾.

-
- (1) يقول لايبنتز: " إن أساس الحب الذي ندين به لله أكثر من كل شيء، هو في رأي معرفتنا العامة لهذه الحقيقة الكبرى ". (لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص 96-97).
- (2) ينظر: لايبنتز، الموندولوجيا، ص 152-153.
- (3) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص 183.
- (4) ينظر: أيوب أبو دية، العلم والفلسفة الأوروبية الحديثة، ص 185.
- (5) جنيفاف روديس لويس، ديكارت والعقلانية، ترجمة: عبده الحلو، منشورات عويدات بيروت - باريس، ط 4، 1988، ص 113 - 114.

والحقيقة أن مبدأ التناغم أو الانسجام (Harmony) هو مبدأ ابستمولوجي من حيث أنه تنوع مختصر في الوحدة، كذلك هو مبدأ انطولوجي من حيث أن معنى أن (توجد) ليس شيئاً آخر غير أن نكون (منسجمين)، لذلك " ينبغي ألا نشك في أن سعادة النفوس هدف الله الرئيسي وأنه لا ينجزها إلا بقدر ما يسمح به التناغم العام "(1). بمعنى أن الاتحاد بين نفس الإنسان وبدنه يقوم على مبدأ (التوافق المسبق)، وأن علة ذلك التوافق هو الله الذي خلق هذه الفكرة وجعلها (لا علمية حتمية)، وإنما (علمية اعتبارية) تضع في الذهن ما يجب أن يحدث لكل موناك ممكن بسبب ما فيه من قوة وبسبب توا فقه مع التغييرات الأخرى(2).

لذلك يقول لايبنتز: "بالرغم من القضاء على مشكلة اتحاد الروح بالجسد في نظري. ما زال هناك بقية، لقد أظهرت بعدياً بالانسجام الأزلي أن كل الوحدات الحقيقية قد استمدت أصلها من الله وتعتمد عليه. ومع ذلك لا أحد يستطيع فهم الكيفية التفصيلية، وفي الأصل الاحتفاظ بها ليس سوى خلقاً مستمراً كما عرف المدرسيون بوضوح تام"(3).

وعلى هذا، فإن دليل لايبنتز ميتافيزيقي حينما يجعل كل وحدة عنصرية تعبر بطريقتها الخاصة عما يحدث خارجها ولا يمكنها أن تؤثر على الكائنات الأخرى إلا بسبب داخلي يعتمد على الكلية التي تجعلها في تناسق مع غيرها. "فليست المادة هي (الوحدة العنصرية)، لأنها تستمد إيجابيتها وسلبيتها من علة أسمى وأعم، حتى يتسنى لها أن تحقق التناسق والجمال السائد في الطبيعة"(4). فالطبيعة - عند لايبنتز - تتراءى ككيان روحاني، تظهر كثافته النسبية الطابع المحدود الذي يتصف به كل شعور، ولكنها تعبر في نفس الوقت عن الفكر المطلق بما يكتشفه شعورنا فيها شيئاً فشيئاً من نظام لا سبيل إلى إنكاره(5). " لأن تأمل الأعمال يمكن من كشف الصانع. وجب أن تحمل تلك

(1) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص104-105.

(2) ينظر، علي عبد المعطي، لايبنتز، ص235.

(3) لايبنتز، أبحاث جديدة، ص246.

(4) المصدر نفسه - العرض التحليلي، ص112-113.

(5) ينظر: فرانسو غريغوار، المشكلات الميتافيزيقية الكبرى، ص59.

الأعمال بصمته في ذاتها⁽¹⁾. والفكر وجدانات فردية متعددة تنزع إلى الوحدة، والوجدانات لها نزعة ورغبة في تجاوز حدود الذاتية والإسهام في سلطان روحي وشامل هو (الله).

ثالثاً/ الحقائق الأزلية (صلة العقل بالإيمان):

يشير لايبنتز في كتابه (مقالة في الميتافيزيقا 1686) إلى وسيلتين للارتقاء إلى الله: الأولى عن طريق ملكة الفهم⁽²⁾، والثانية عن طريق الإرادة⁽³⁾. إذ لا شيء يمكن أن يدخل الغبطة إلى نفوسنا إلا تنوير الذهن وخضوع الإرادة له، وأن نبحت عن هذا النور في معرفة الأشياء التي تسمو بالذهن إلى أعلى⁽⁴⁾.

لذلك كان من الضروري التمييز بين الوحي الأصيل والوحي التقليدي: الأول يصنعه الله مباشرة في العقل⁽⁵⁾ ولا يمكن أن يخطئ، والثاني يأتي بالطرق العادية للاتصال ولا يعطي أفكاراً جديدة بسيطة، ولهذا لن نسلم بأي قضية باعتبارها (وحياً إلهياً) إذا ما تناقضت مع المعرفة المباشرة⁽⁶⁾، إذن "لا بد من استخدام العقل عند مناقشة الإيمان"⁽⁷⁾. الإيمان⁽⁷⁾. لأن حقائق العقل وحدها يقينية وأبدية، وبفضلها تكون القضايا أكيدة ويقينية ويقينية في كل علم أصيل مثل الرياضيات الصرفة والمنطق والميتافيزيقا⁽⁸⁾ وهي قضايا

(1) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص 89.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 170-171، وأيضاً: ص 185-186.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 187-188، وأيضاً: ص 191-192.

(4) ينظر: نازلي اسماعيل حسين، النقد، ص 24.

(5) يقول لايبنتز: " أولئك الذين لا يحصلون على الوحي إلا بوسيط، أو لنقل من فم إلى فم، أو بالكتابة في حاجة أكثر للعقل ليتأكدوا منه ". (لايبنتز، أبحاث جديدة، ص 319).

(6) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة - العرض التحليلي، ص 121.

(7) المصدر نفسه، ص 318.

(8) ينظر: بلبولة مصطفى، بحث (لايبنتز ديكارتيًا)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية،

والإنسانية، العدد 8، 2012، ص 121.

أو مبادئ نعرفها بصورة حدسية أو عن طريق البرهان بواسطة مبدأ الهوية ومبدأ التناقض⁽¹⁾.

ولايبنتز يعزو كمال الكائنات إلى وجه الشبه بينها وبين الله بنوع من المشاركة. وهي مشاركة في المعرفة والحكمة⁽²⁾ والإرادة والحرية، وذلك واضح في وصفه الخالق بقوله: " هو ماهر يحقق غاياته بأيسر السبل التي يمكن اختيارها، وهو شبيه بعالم مبدع يختزل أكثر ما يمكن من وقائع في أصغر ما يستطيع من حجم. والحال أن أكمل الكائنات التي تستغل أقل حيز ممكن بمعنى الأقل تضافاً من بعضها البعض، هي العقول التي يتمثل اكتمالها في الفضائل"⁽³⁾.

والإنسان وحده يستطيع أن يعرف الله من خلال معرفة الحقائق الأزلية الكامنة في الله ذاته (بوصفه كائناً مفكراً)⁽⁴⁾، وبذلك يستطيع أن يدرك مقاصد الله ويعمل وفقاً لها، كما ويستطيع أن يكون عضواً في مملكة النعمة الإلهية⁽⁵⁾. فإذا كانت النفوس - على وجه الإجمال - مرآيا حية أو صور من عالم المخلوقات، فإن العقول هي بالإضافة إلى ذلك " صور من الإلوهية، ومن مبدع الطبيعة ذاته، إنها تمتلك القدرة على معرفة نظام العالم... إذ أن كل عقل في مجاله أشبه بالوهية صغيرة"⁽⁶⁾.

(1) مبدأ الهوية (أي: أ هي أ) يمكننا من أن نعرف هوية الموضوع والمحمول لحكم منطقي، أما مبدأ التناقض فيؤكد لنا أنه من المستحيل أن يكون هناك حكمان يطرد الواحد منهما الآخر بالتبادل مثل (أ هي ب، و أ ليست ب) صادقين معاً بنفس المعنى. ويمكننا هذان المبدأن من أن نبرهن على حقائق معينة بوصفها حقائق أزلية. (ينظر: وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص142).

(2) الحكمة الإلهية، أو بيان حكمة الله في الكون هو موضوع كتاب لايبنتز (الثيوديسا 1710).

(3) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص103-104.

(4) التفكير مماثل للروح كميزة للعقول عن سائر الكائنات والجواهر، لذلك كانت هي الصور الجوهرية في مقالة لايبنتز عن الميتافيزيقا. (ينظر: لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا: ص198-199). في حين أننا سنجد بأن مفهوم التفكير لديه يقابل مفهوم الإدراك الواضح أو الإدراك

الواعي **Apperception**.

(5) ينظر: كريم مّتي، الفلسفة الحديثة، ص148.

(6) لايبنتز، المونادولوجيا، ص173 - 174.

لذلك لم تكن الميتافيزيقا عند لايبنتز مجرد ميتافيزيقا علمية تبرر العلم وتفسره، إنما كانت ميتافيزيقاه تستهدف الوصول إلى الحقائق الأولى والضرورية بنور العقل الذي هو قبس من النور الإلهي⁽¹⁾. " فالمعرفة بالحقائق الضرورية والأبدية هي التي تميزنا عن الحيوانات الخالصة، وبها نحصل على العقل ونتزود بالعلوم، وذلك حين ترفعنا إلى المعرفة بأنفسنا وبالله، وهذا هو ما يسمى فينا بالنفس العاقلة أو العقل⁽²⁾. فالعقائد مطابقة لأحكام العقل⁽³⁾، والعقل عند لايبنتز شرط ضروري وكاف لمعرفة الحقائق الدينية.

فلايبنتز يثني على رأي لوك في تأسيسه الإيمان على العقل، مشيراً كذلك إلى بعض الفلاسفة الأرسطيين في تمسكهم بحقيقتين متقابلتين أحدهما فلسفية والأخرى لاهوتية⁽⁴⁾، وهو يجادل ديكارت في فصله حقائق الفيزياء (ثمرة العقل) عن حقائق اللاهوت الصادرة عن (العقيدة). لذلك سعى لايبنتز لإبراز مسألة الترابط العضوي بين القضايا الفيزيقية والمسائل الميتافيزيقية والدينية وعدم تعارض العقل مع العقيدة⁽⁵⁾. لأن مجموع العقول أو الأرواح يؤلف بالضرورة مملكة كلية شاملة هي (مدينة الله) كعالم أخلاقي داخل العالم الطبيعي، فمملكة الله وقدرته تتجليان في كل شيء وفي كل مكان، وهذا إنما يدل على تجانس بين مملكة الطبيعة الفيزيائية ومملكة الفضل الإلهي الأخلاقية⁽⁶⁾.

(1) ينظر: نازلي إسماعيل، النقد، ص28-29.

(2) ليبنتز، المصدر السابق، ص151-142.

(3) تعد هذه المطابقة أحد مبادئ العقلانية، وهي تنطبق على عقلانية لايبنتز في بيانه لصلة العقل بالإيمان والدفاع عن العقائد بالأدلة العقلية. (ينظر: المصطلح الفلسفي، ترجمة وإعداد: صفاء عبد السلام جعفر، ص37). لكن لايبنتز رفض القول بتقابل العقل مع العقيدة، وفضل القول أن الإيمان يؤسس على العقل، وبالتالي رفض القول أنه لا داعي لبذل الجهد وتقديم الحجج والمبررات للأمور التي تتصل بالاعتقاد، وكذلك القول بفصل الفلسفة عن اللاهوت. (ينظر: ليبنتز، أبحاث جديدة - العرض التحليلي، ص121).

(4) ينظر: ليبنتز، أبحاث جديدة، ص315.

(5) ينظر: ليبنتز، مقالة في الميتافيزيقا (تقديم الترجمة)، ص11.

(6) ينظر: ليبنتز، المونادولوجيا، ص173-174.

لذلك قصد لايبنتز (بالعقل) في تقابله مع الإيمان: اكتشاف يقين أو احتمال القضايا المستمدة من المعارف المكتسبة بالإحساس أو التفكير. ويقصد (بالإيمان): التصديق الذي نعطيه لقضية قائمة على الوحي أي على اتصال غير عادي بالله لا يمكنه إطلاقاً أن ينقل للآخرين⁽¹⁾.

يتبين لنا أن المعرفة عند لايبنتز هي معرفة بالحقائق الخالدة (Eternal Truths) وهي معرفة مطلقة تقوم على مبادئ المنطق والرياضيات ووجود الله، كما تقوم أيضاً على مبدأ اتصال الحقائق، والذي يسميها بحقائق العقل (Truth of Reason) لأنها واضحة وقبلية لا يتطرق إليها الشك، وهي عكس حقائق الواقع (Truth of Facts) البعدية، التي يتطلب إثباتها التجريب⁽²⁾. وبذلك تكون (الأفعال التأملية) - التي هي نتيجة لمعرفتنا بالحقائق الضرورية- هي التي توصلنا إلى فكرة الأنا وتجعلنا نصف بأن هذا أو ذلك موجود فينا. لذلك كانت هذه الأفعال هي التي تمثل الموضوعات الأساسية لمعرفتنا العقلية، بحيث يصبح الشعور أو الوعي (شعوراً ووعياً بالذات)⁽³⁾ عندما نتحقق من طبيعة الحقائق الأبدية الخالدة، أي عندما نعرف أنها هي المبادئ الفطرية التي يقوم عليها وجودنا ووجود العالم كله⁽⁴⁾. "ومع ذلك فإننا نفكر مباشرة بأفكارنا الخاصة وليس بأفكار الله... فلا يعقل أن أفكر بأفكار غيري، بمعنى أننا نرى الأفكار عن طريق الله وليس في الله"⁽⁵⁾. فالأساس الأخير ليقين الحقائق الضرورية

(1) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص318.

(2) ينظر: إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكرت إلى هيوم، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر- الإسكندرية، بلا ط، 2000، ص233.

(3) يشير لايبنتز إلى أننا لا نرى الفكرة كاملة إلا إذا كانت معرفتنا واضحة داخل التصورات الغامضة، أو حين تكون حدسية داخل التصورات المميزة. (ينظر: لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص178 - 179). لذلك هو يميز بين الإدراك، أو الوعي المحض، وإدراك العقل لنفسه Apperception أو الفهم الحقيقي لما يدرك. والأرواح وحدها هي التي تدرك نفسها، وتفكر في إدراكاتها في علاقات منطقية، وتحدد الحقائق الأزلية. (ينظر: وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص142).

(4) ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا، ص142.

(5) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص185.

5. تفسير ودحض الخطأ.

كذلك فإن التفسير الوحيد لنظرية المعرفة عند لايبنتز مفاده " أننا نحمل معنا منذ البدء أفكاراً فطرية موجودة وجوداً (بالقوة) -على حد التعبير الأرسطي- وتحتاج إلى ما يخرجها من القوة إلى (الفعل)، أما الشيء الذي يخرج تلك المعرفة من القوة إلى الفعل فهو الشيء الحسي أو الإثارات الحسية"⁽¹⁾. فالقول أن مبادئ المعرفة فطرية فينا، يعني أنها موجودة على سبيل الإمكان لا بالفعل، ولايبنتز وافق لوك على أن التجارب التي تنفذ إلى العقل عن طريق الحواس لها كل الأثر في تكوين المعرفة، والفرق بينهما هو رأي لايبنتز في عدم (استحداث) هذه المعرفة وإنما (انتقالها) من وجود بالقوة إلى وجود بالفعل، أو من حالة الخمود إلى حالة اليقظة والنشاط⁽²⁾. وعلى هذا النحو كانت المعرفة عنده فطرية من جهة ومكتسبة من جهة أخرى، لا مكتسبة وحسب كما ارتأى ذلك لوك.

ويبدو أيضاً في مناقشة لايبنتز لآراء لوك التركيز على أفضلية العقل على الحواس، فمثلاً يعقب لايبنتز على تمييز لوك بين يقين الحقيقة ويقين المعرفة، أن يقين المعرفة يكفي دون استخدام الكلمات، وأن من الممكن الحصول على عدد لا حصر له من القضايا العامة التي تصدر عن (العقل) وعن صفات أخرى نعرفها في موضوعها والتي لها حقائقها ومفاهيمها الداخلية التي يمكن أن نعرفها بالعلاقات الخارجية، لأن التكوين الداخلي للأجسام هو الذي يجعلنا نحصل على الصفات التي تخضع بدورها لأسباب (معقولة)، حتى عندما لا نستطيع معرفتها حسيّاً⁽³⁾. لذلك كان من الخطأ دائماً أن نقول أن كل تصوراتنا صادرة عن الحواس التي نسميها (تجربة خارجية)، لأن التصورات التي نمتلكها عن أنفسنا وأفكارنا وعن الوجود والجوهر والهوية والفعل إنما هي تصورات تصدر عن (تجربة داخلية)⁽⁴⁾.

(1) علي عبد المعطي، لايبنتز، ص250.

(2) ينظر: أحمد أمين، قصة الفلسفة الحديثة، تصنيف: زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة

والنشر - القاهرة، بلا ط، 1936، ص192.

(3) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة - العرض التحليلي، ص105.

(4) ينظر: لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص182.

فالتجربة الحسية (الخارجية) لا يمكنها أن تزودنا بحقائق كلية وضرورية، لأنها لا تقدم إلينا غير معارف مختلطة من ناحية، وجزئية من ناحية أخرى لأنها تتعلق بأحوال مفردة وجزئية، والاستقراء الكامل غير ممكن. لهذا ليس لدينا غير التجربة الباطنة والذهن والعقل⁽¹⁾. 'فالأفكار تكون أصلاً في ذهننا، وأن أفكارنا نفسها تأتينا من أعماقنا"، أما الأفكار البسيطة فهي غامضة مثل تلك الخاصة بالصفات الخاصة بالحواس⁽²⁾، وذلك عندما لا يستطيع العقل الحكم باتفاق أو ارتباط تلك الأفكار⁽³⁾.

وهكذا يقبل لايبنتز بالقول المأثور المدرسي، ولكن مع تقييد: " لا يكون في العقل شيء لم يسبق في الحس، إلا العقل نفسه، أو من يتعقل ". لأن مجموع الأفكار الفطرية هو العقل ذاته الذي به نتعقل، وأن ما هو فطري يعود بحصر المعنى إلى ما يكون فينا بمعزل عن كل تجربة خارجية، أي ما هو موضوع لتجربة داخلية. وعلى هذا النحو ترد الأفكار كلها إلى ذلك (المعقول)، إلى ذلك الموضوع للعقل المحض الذي هو الأنا المعطى في التجربة الداخلية⁽⁴⁾.

إذن الحواس لا تعطينا الحقيقة العامة التي تتصف بالضرورة الكلية، إنما تعطينا أمثلة من الحقائق الجزئية والفردية (أي معرفة ما هو موجود). فالحقائق الضرورية كما نجدها في الرياضيات الخالصة والهندسة لا تخضع مبادئها للحواس⁽⁵⁾، يلزم عن ذلك أننا استخلصنا هذه الحقائق جزئياً مما هو موجود فينا. أي لا بد من أن تستمد معرفة هذه الحقائق (الأزلية) من أفكار فطرية، التي قد لا نكون على وعي بها في الواقع، حتى

(1) ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 2، ص 391.

(2) في إحدى انتقاداته لظاهرانية المعرفة الحسية، يقول لايبنتز " قد يعترض البعض بأن الأبله لا يبدي تعقلاً ومع ذلك نعه إنساناً، ولكن إذا كان لديه شكلاً ممسوخاً فلن يكون إنساناً. هل هكذا نعتني بالشكل أكثر من العقل ؟ لا بدون شك ". (لايبنتز، أبحاث جديدة، ص 183).

(3) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص 179 - 180.

(4) ينظر: اميل برهيه، تاريخ الفلسفة، - القرن السابع عشر -، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، ط 2، 1993: ج 4، ص 313.

(5) ينظر: نازلي إسماعيل حسين، النقد، ص 26.

تجلبها الظروف⁽¹⁾ والتأملات إلى نطاق انتباهنا⁽²⁾. من هنا رفض لايبنتز قول لوك (أن الأفكار البسيطة مكتسبة وتعتمد على الحواس)⁽³⁾ ويؤكد أنها فطرية لا تخضع لأي تأثير مباشر على النفس وأن أساس يقين الحقائق الأزلية (الضرورية والكلية) يكون في الأفكار نفسها مستقلة عن الحواس، أما حقيقة الأشياء العرضية فتعتمد على مدى ارتباط الظواهر التي نعرفها بالحس بالصورة التي تتطلبها الحقائق الذهنية⁽⁴⁾.

ب - نقد موقف ديكارت: يمكن إجمال مواضع نقد لايبنتز لديكارت في مسألتين: الأولى هي صلة المعرفة بالمنهج عند ديكارت، والثانية تتضمن تفسير ديكارت للوجود الخارجي.

فجوهر المنهج في تصور لايبنتز هو أن يمدنا بخط التوجيه⁽⁵⁾، على خلاف ما اعتقده ديكارت حين جعل البداية والوضوح معياراً للحقيقة والأفكار الصحيحة. أي أن منهج ديكارت جيد من حيث غاياته، ولكنه غير كاف بالنظر إلى غموض قواعده، ولذلك أعاد لايبنتز النظر في مدلول أفكار ديكارت (الجلية الواضحة)، وأضفى عليها دقة جعلتها أكثر فعالية⁽⁶⁾.

وإذا كان موقف ديكارت نقدياً لكل فلسفة قديمة، فإن لايبنتز يتحدث عن القدامى بأنهم علموا بعضاً مما يقول، حتى أنهم ليسوا بعيدين كل البعد عن الحقيقة ولا هم سذج كما يتخيلهم الفلاسفة الجدد - ومنهم ديكارت -، فمثلاً: لايبنتز يؤيد فكرة الصور

(1) المقصود بالظروف هنا (المناسبات) أو (الفرص) التي تتدخل فيها إرادة الله، رغم أن لايبنتز ينتقد مالبرانش لاعتماده هذه النظرية دائماً في كل تفسير. ينظر: جنيفاف روديس، ديكارت والعقلانية، ص 113-114.

(2) ينظر: وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 141-142.

(3) في مقابل الأفكار البسيطة يرى لايبنتز أن الأفكار المركبة ليست من اختراعنا، كما أن أفكارنا عن الجواهر التي توجد خارج أنفسنا تكون حقيقية بقدر اتفاقها مع النماذج الأصلية الموجودة الموجودة في عقولنا، وإذا عجز العقل عن الحكم باتفاقها أو ارتباطها أصبحت غامضة شأنها شأن الصفات الخاصة بالحواس. (ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص 179 - 180).

(4) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة - العرض التحليلي، ص 102.

(5) ينظر: بلبولة مصطفى، بحث (لايبنتز ديكارتيًا)، ص 120.

(6) ينظر: جنيفاف روديس، ديكارت والعقلانية، ص 113.

الجوهرية **Forms Substantially** الأرسطية في تفسير العالم، أو (جزئيات الفيزيقا)⁽¹⁾ وهي الفكرة التي انتقدتها ديكارت.

والخلاف هنا قائم في النظرة إلى العقل في تفسير الوجود، فالإنسان برأي لايبنتز لا يجد المبادئ الضرورية أو (الحقائق) جاهزة في عقله كما يعتقد ديكارت، ولكن العقل بفاعليته يستطيع أن يقوم الحقيقة، فالعقل هو الكلي بالقوة، أي هو موجود بوصفه إمكانية⁽²⁾. لكن سؤال لايبنتز - كما أشرنا - يقوم على آلية انتقال العقل من القوة إلى الفعل، أي من فكرة الإمكان إلى الوجود. من هنا كان نقد لايبنتز للدليل الأتولوجي عند ديكارت، والذي كان أساساً لتكوين فكرة الإمكان لديه، (فإذا كان الكامل ممكناً فهو موجود)⁽³⁾. وبذلك يصبح (الإمكان) مرتبط ارتباطاً وثيقاً (بالوجود)⁽⁴⁾.

كذلك فإن (التجربة الداخلية) عند لايبنتز تشير إلى شيء أشمل وأوسع من النور الطبيعي للعقل عند ديكارت، فهي تدل على كل ما هو موجود فينا بصورة طبيعية وعلى كل ما نراه في أنفسنا، حينما لا تشوش علينا رؤيتنا الحاجات والنوازع الصادرة عن الجسم، فإلى جانب العقل هناك الغريزة المنسوجة من معارف مختلطة، وإن تكن فطرية: ففطرية الفكرة لا تستبعد - كما لدى ديكارت - اختلاطها⁽⁵⁾. والاختلاط هنا يعني اجتماع العقل والحدس والحس في تكوين المعرفة، لا الاعتداد بالعقل وحده وبنوره الفطري في تفسير الوجود والأجسام على وفق رؤية ديكارت، لذلك يقول لايبنتز: "الصعوبة الباقية هي بالنسبة لأولئك الذين لا يريدون تخيل إلا ما هو معقول، كأنهم يريدون رؤية

(1) ينظر: لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص124-125.

(2) ينظر: نازلي إسماعيل حسين، النقد، ص75.

(3) يلاحظ هنا بوادر الطابع (النقدي) لمسألة الإمكانية، مع ملاحظة أن (كانت) مثلاً سار في اتجاه عكسي، فبينما اتجه لايبنتز من الإمكان إلى الوجود، اتجه كانت من الوجود إلى الإمكان. (ينظر:

نازلي إسماعيل حسين، النقد، ص184 - 185).

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص84.

(5) أميل برهيه، تاريخ الفلسفة، ج 4، ص313 - 314.

الأصوات أو استماع الألوان، وهم الذين ينكرون وجود كل ما ليس ممتداً، مما يضطرهم إلى إنكاره⁽¹⁾.

وكان حل لايبنتز -لهذه الإشكالية- هو ضرورة التمييز بين الإدراك، والحالة الداخلية للمونادة التي تتمثل بها الأشياء الخارجية، وبين الوعي، وهو الشعور الذاتي، أو المتأمله لهذه الحالة الداخلية، لأن إغفال هذه التفرقة هو الخطأ الذي وقع فيه الديكارتيون الذين تجاهلوا وجود الإدراكات التي لا تكون مصحوبة بالشعور على نحو ما يفعل عامة الناس عندما يسقطون من حسابهم الأجسام⁽²⁾ التي لا يدركونها إدراكاً حسيّاً⁽³⁾. وهكذا فإن " النظر إلى فلسفة لايبنتز على ضوء الفلسفة الديكارتية لا يطلعنا على أصالتها الحقيقية"⁽⁴⁾.

ثانياً/ مبدأ التمايز والاختلاط في المعرفة:

يعد مبدأ التمايز والاختلاط في المعرفة بمثابة نتيجة لنقد لايبنتز للوك وديكارث من جهة، وتمهيد واضح لعقلانيته التوفيقية من جهة أخرى.

بداية يميز لايبنتز بين المعرفة الغامضة والمميزة، فإذا تعرفنا على شيء من بين أشياء أخرى من دون التمكن من معرفة فوارقه وخصائصه، كانت معرفتنا (غامضة)، أما إذا استطعنا تمييز وتفسير العلاقات التي بحوزتنا عن لوحة زيتية أو الذهب الحقيقي من الزائف عن طريق التجارب، كانت معرفتنا (مميزة)⁽⁵⁾. لذلك كان " من الممكن أن نتجاوز ما نسميه معرفة أو يقين الإحساسات الحالية، مادام الوضوح والتمييز يذهبان أبعد وهذا نوع من اليقين"⁽⁶⁾. والمعرفة المميزة درجات:

(1) لايبنتز، أبحاث جديدة، ص164.

(2) ليس الجسم الآلي عند لايبنتز إلا من صنع الفكر الذي يولف بين إدراكاته، فليس للجسم وحدة حقة، وإنما وحدته آتية من إدراكنا، فهو موجود خيالي، فالنفس وحدة الجسم، والجسم وجهة نظر النفس. (ينظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص133 - 134).

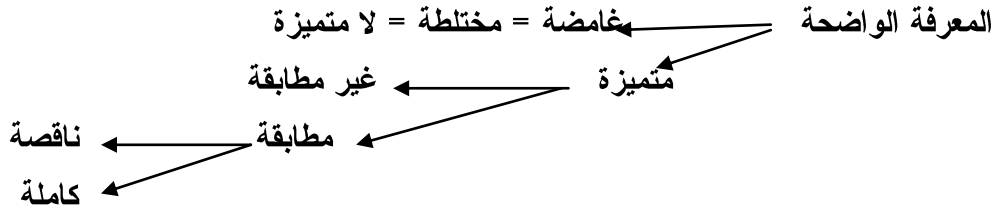
(3) ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا، ص106 - 107، وأيضاً: ص131 - 132.

(4) جنفياف روديس، ديكارت والعقلانية، ص113.

(5) ينظر: لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص173 - 174.

(6) لايبنتز، أبحاث جديدة، ص249.

1. معرفة مطابقة (حينما يكون كل ما يدخل في تعريف أو معرفة مميزة معروفاً بصورة مميزة تصل إلى حد التصورات).
2. معرفة حدسية (حينما يفهم ذهنياً في الآن نفسه وبطريقة مميزة كل العناصر الأولية لتصور ما)⁽¹⁾. ويلاحظ أن هناك إلى جانب المعرفة المطابقة - التي هي إما ناقصة أو كاملة - معرفة غير مطابقة (على الرغم من أنها متميزة وواضحة)، وكما هو موضح في المخطط الآتي:



فالمعرفة الحقة يجب أن لا تقتصر على الجمع بين الواضوح والتمايز، وإنما يجب أن تكون أيضاً وافية وحدسية بصفة كاملة. فإذا أنا أدركت بعض مكونات شيء مركب إدراكاً متميزاً دون أن أدرك المكونات الأخرى سيكون إدراكي للشيء المركب قاصراً عن (التمايز الكامل)، ومن ثم فإنه غير واف. أما إذا أدركت جميع مكوناته بتمايز، فسيكون إدراكي للشيء المركب وافياً⁽²⁾.

ويرى لايبنتز بأنه بإمكاننا أن نجرب بأنفسنا الإدراك أو (الكثرة في وحدة الجوهر البسيط)⁽³⁾ عندما نجد بأن: أقل فكرة ندرکها تنطوي على تنوع في الموضوع المتصور، ولهذا كان الإقرار بأن النفس جوهر بسيط تأكيداً لوجود هذه الكثرة في الوحدة⁽⁴⁾. وهكذا يبدو من نظرية الإدراكات الواضحة والمختلطة، أن الفارق بين الحس والعقل في فلسفة لايبنتز فارق كمي وليس كيفياً⁽¹⁾، أي بالإمكان وصف الإدراكات الحسية

(1) ينظر: لايبنتز، المصدر السابق، ص 174 - 175.

(2) ينظر: ريتشارد شاخ، رواد الفلسفة الحديثة، ص 60 - 61.

(3) الحالة العابرة التي تضم كثرة في وحدة الجوهر البسيط يسمى تمثلاً عند لايبنتز بالإدراك، وكأن الإدراك هو التعبير عن أشياء كثيرة في شيء واحد. وفي هذا يختلف موقف لايبنتز عن موقف لوك في تفسير العلاقة أو الروابط بين الأفكار. ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا، ص 131.

(4) ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا، ص 134 - 135.

إدراكات عقلية مبهمّة ومختلطة، وكذلك الإدراكات العقلية إدراكات حسية أصبحت واضحة ومتميزة⁽²⁾ "فلما كان الإحساس شيئاً يزيد على الإدراك البسيط، فقد يكفي أن نطلق على الجواهر البسيطة التي لا تحتوي على شيء آخر سواه أسم (المونادات)... أما تسمية (نفس) فيصح أن نقصرها على المونادات التي يكون الإدراك فيها أكثر تميزاً، كما يكون مصحوباً بالتذكر"⁽³⁾. إذن الذاكرة أو عملية التذكر - عند لايبنتز - هي العلامة الدالة على الوعي أو الشعور تمييزاً له عن الإدراك غير الواعي أو الإدراك الغامض المختلط أو (اللامتيز)، مثلما يحدث لنا في حالة الإغماء أو الاستغراق في نوم عميق بلا أحكام.

والحال، برأي لايبنتز: "إننا سنكون دائماً في حالة الإغماء إذا خلت إدراكاتنا من التميز والتطلع إلى مرتبة أسمى... ولما كان الإنسان يظن إلى إدراكه بمجرد أن يفيق من الإغماء فلا بد أن مثل هذا الإدراك قد وجد لديه قبل ذلك مباشرة، وإن لم يكن عندئذ على وعي به. لأن الإدراك لا يمكن أن ينشأ نشأة طبيعية إلا عن إدراك آخر"⁽⁴⁾. فالحدود التي تقيد المونادات لا تتمثل في الموضوع وإنما تتمثل في أسلوب المعرفة المختلف بالموضوع. إنها جميعاً تسعى على نحو مختلط (غامض) للوصول إلى اللامتاهي، إلى الكل، ولكنها تظل محدودة ومتميزة عن بعضها البعض عن طريق درجات وضوح الإدراكات وتميزها⁽⁵⁾.

هذا التدرج في المعرفة أدى بلايبنتز إلى وصف (التجربة) بأنها شرط ظهور الكائنات في النفس وتطبيقها - كما هو الحال عند أفلاطون -، أي " أن التجربة مجموع المعارف والحقائق الحادثة العارضة للنفس من ذاتها، بينما (العقل) يعني مجموع المبادئ الضرورية اللازمة منها"⁽⁶⁾. كذلك فإن موقف لايبنتز من الأفكار، ووصفه إياها بأنها موجودة بالقوة في الذهن، وخروجها إلى الوجود عن طريق ما تثيره الحواس والتجربة هو الأساس في وصفه

(1) على اعتبار أن الفارق الكيفي بين الحس والعقل مخالف لفكرة التدرج في وضوح الإدراكات وتميزها.

(2) ينظر: جلال العظم، دراسات، ص14.

(3) لايبنتز، المونادولوجيا، ص137.

(4) المصدر نفسه، ص139.

(5) ينظر: المصدر نفسه، ص159.

(6) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص134 - 135.

المعرفة كونها: فطرية⁽¹⁾ من جهة، ومكتسبة من جهة أخرى لا مكتسبة وحسب كما حدد ذلك لوك.

كذلك، أراد لايبنتز أن يوسع نظرياته بمقابل نظريات ديكارت، بمقدار ما يتشكك من أثره⁽²⁾. فإذا كان ديكارت يؤمن بالحدس والاستدلال فإنه يرفض شهادة الحواس، تلك الحواس التي يقبلها لايبنتز كمثيرات حسية، ولها أيًا ما كانت دورها في نظرية المعرفة. فالمعرفة التي تولد مع الطفل تكون بادئ الأمر غارقة في اللاشعور⁽³⁾، وتظل غامضة مهوشة حتى تدركها التجربة، وحياة العقل عبارة عن تقدم مطرد مستمر من إدراك مضطرب إلى إدراك دقيق محدود، شأنه في ذلك شأن كل (موناة) في الكون⁽⁴⁾ حياتها انتقال من الغموض إلى الوضوح في الإدراك⁽⁵⁾. وإن ما يجعل الفلسفة أسهل - بنظر لايبنتز لايبنتز - هو أن لا نتصور الأشياء غير المعروفة بشكل (غامض) إلا بنفس الطريقة التي نتصور بها تلك التي تكون معروفة لنا (بتميز). فهذه هي الطريقة الأغنى، لأن الطبيعة يمكن أن تغيرها إلى ما لا نهاية، وهذا ما تفعله بوفرة وبنظام وبأكبر قدر يمكن تصوره⁽⁶⁾.
ثالثاً/ العقلانية التوفيقية في نظرية المعرفة:

للمنهج النقدي حضور واضح في ثنايا تفسير لايبنتز لحقيقة المعرفة، ذلك المنهج الذي سعى فيه إلى إيجاد وحدة في الكثرة وتوافق في المجموع. وكما يقول برتراند رسل: " إن الفلسفة ترمي إلى المعرفة... والمعرفة التي تصبو إليها إنما هي ذلك النوع من المعرفة

(1) مجموع الأفكار الفطرية - عند لايبنتز- قبلية، أي أن ذلك المجموع هو العقل نفسه، أي بنيته، التي ليست سوى جملة القوانين والمبادئ الضرورية للفهم. (ينظر: ببلولة مصطفى، بحث "لايبنتز ديكارتيًا"، ص121).

(2) ينظر: جنيفاف روديس، ديكارت والعقلانية، ص112.

(3) وفي هذا لا يتفق لايبنتز مع رأي ديكارت أن المعرفة التي تولد مع الطفل تكون عند الولادة محددة وواضحة.

(4) ينظر: أحمد أمين، قصة الفلسفة الحديثة، ص191.

(5) يرى لايبنتز إن إدراكاتنا الغامضة إنما هي نتيجة الانطباعات التي يتركها فينا العالم بأكمله، وكذلك الشأن مع كل موناة، وهذا يمثل الجانب السلبي لمعرفتنا، أي ما نتلقى من انطباعات حسية من العالم الخارجي. (ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا، ص116).

(6) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص310.

الذي يكسب مجموعة العلوم وحدة ويضفي عليها نظاماً، ذلك النوع الذي يأتي من التمهيص الدقيق والنقد النافذ للأسس التي تقوم عليها آراؤنا وأحكامنا ومعتقداتنا⁽¹⁾.
والحقيقة أن تفكير لايبنتز هو تفكير شمولي يستغرق كثير مما قاله أسلافه، فهو يتجاوز التضاد بين القدماء والمحدثين في نظام شخصي. ويتضح ذلك من قوله: " في آراء الفلاسفة واللاهوتيين والمدرسيين تماسكاً أكبر مما نتصور شريطة أن نستعملها في السياق والمكان المناسبين. واقتناعي أنه إذا كلف عقل دقيق تأملي نفسه عن توضيح أفكارهم واستيعابها... فإنه سيجد كنزاً يضم مجموعة من الحقائق المهمة جداً والبرهانية تماماً"⁽²⁾.
فمثلاً إن نقد لايبنتز لديكارت يكمن في اقتصار ديكارت على الأفكار الواضحة أو الذرات الأولية للمعرفة، دونما اعتناء بالأفكار الغامضة أو الإحساسات الخارجية التي هي عند لايبنتز بمثابة الذرات الثانوية. أي في افتقار ديكارت على الحقائق التي تعتمد على مبدأ التناقض دونما اكتراث بتلك التي تعتمد على مبدأ السبب الكافي⁽³⁾.

ومع ذلك، فإن لايبنتز لم يتوقف عند النقد فحسب، إنما كان موقفه من المعرفة توفيقياً بين (لوك وديكارت). فطريقنا إلى المعرفة هو العقل بما يحتويه من أفكار كامنة فيه بالقوة، والحس الذي يخرج عن طريق الإثارات الحسية تلك الأفكار الكامنة في العقل من القوة إلى الفعل مضافاً إليهما الحدس، لذلك فإن قوانين الحركة ذاتها لا يمكن استنباطها بطريقة قبلية، بل لا بد من الرجوع إلى التجربة⁽⁴⁾ من أجل العلم بها⁽⁵⁾. فالتصورات جميعها جميعها أصلها بسيط، قليلة العدد تتوالد بفضل التركيب. والتفكير هو كشف الغطاء عن كل العلاقات الموجودة بين التصورات البسيطة⁽⁶⁾. لأن أفكارنا عن الصفات الحسية (كاللون والطعم) تصدر عن الحواس (أي من أفكارنا المختلطة)، وأن أساس حقيقة الأشياء العرضية

(1) برتراند رسل، مشاكل الفلسفة، ص138.

(2) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص130 - 131.

(3) ينظر: علي عبد المعطي، لايبنتز، ص257 - 258.

(4) يقول لايبنتز: " إذا كان الحيوان لا ينشأ أبداً نشأة طبيعية، فإنه لا يفسد كذلك بطريقة طبيعية... وهذه وهذه التأمّلات التي تمت بطريقة بعدية واستخلصت من التجربة تتفق تمام الاتفاق مع المبادئ التي استنتجت فيما سبق بطريقة قبلية ". (لايبنتز، المونادولوجيا، ص170).

(5) ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا (هامش المترجم)، ص114 - 115.

(6) ينظر: أيوب أبو دية، العلم والفلسفة الأوروبية الحديثة، ص184.

والمفردة يكون في النجاح الذي يجعل ظواهر الحواس مرتبطة بالصورة التي تتطلبها الحقائق الذهنية⁽¹⁾.

فمثلاً (إقليدس) كان يبرهن بالعقل على كل ما نراه في التجربة وفي الصور الحسية، لذلك فإن الأخلاق والميتافيزيقا والمنطق، تخضع كلها للحقائق الضرورية وللمبادئ الداخلية التي نسميها فطرية. ولكننا لا نستطيع أن نقرأ هذه المبادئ في النفس كما نقرأ كتاباً مفتوحاً. وإنما نحن نكتشف في ذاتنا بانتباه كلما توفرت لنا (مناسبة) لذلك بواسطة معطيات الحواس، وبذلك يكون دائماً نجاح التجارب توكيداً للعقل⁽²⁾. فالموقف المثالي الموضوعي الذي يعبر عن طبيعة المعرفة عند لايبنتز هو أنه: "ليست المعرفة فقط، بل أن المادة التي يعمل عليها الفكر، أي عالم الأشياء (العالم الخارجي) هي أيضاً من نتائج النشاط الذهني"⁽³⁾. وعلى الإجمال العقل عند لايبنتز هو مصدر كل معرفة ضرورية، وأن قيمة الحواس تكمن في أنها تقدم للعقل (المناسبة) التي يظهر فيها الحقيقة⁽⁴⁾، ومن هنا أطلق على مذهبه في المعرفة أسم مذهب المناسبة⁽⁵⁾.

لذلك كان نقد لايبنتز لموقفي (لوك وديكارت) من المعرفة قائماً على أساس تجاهل كل منهما لعامل من العاملين الهامين في المعرفة وهو (الضروري والعرضي)⁽⁶⁾، فبينما ينكر لوك ما هو ضروري وما هو قائم على مبدأ عدم التناقض، ينكر ديكارت ما هو عرضي

(1) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص 179.

(2) ينظر: نازلي إسماعيل حسين، النقد، ص 26-27.

(3) فرانسوا غريغوار، المشكلات الميتافيزيقية الكبرى، ص 49.

(4) يقول لايبنتز: "يسمى البعض الحقيقة الأخلاقية صدقاً، ونعد الحقيقة الميتافيزيقية لدى عامة الميتافيزيقيين على أنها صفة للوجود، ولكنها صفة غير مفيدة وتكاد تكون خالية من المعنى، ولنكتفي إذن بالبحث عن (الحقيقة) في تراسل القضايا التي في الذهن مع الأشياء التي تخصها". (لايبنتز، أبحاث جديدة، ص 187).

(5) ينظر: نازلي إسماعيل، المصدر السابق، ص 27.

(6) أكد لايبنتز على نوعين من الحقائق: الحقائق العرضية - التي أهملها ديكارت - وتعتمد على الحس والتجربة، لذلك كان دليلها بعدي لا قبلي، لأنها تقوم على مبدأ السبب الكافي (الذي يوضح ما بينها من ارتباطات وعلاقات). والحقائق الضرورية - التي أهملها لوك -، وتعتمد على النفس، وتشير إلى الكلية أو اليقين المطلق، لذلك كان دليلها قبلي لا يعتمد على التجربة والعالم الخارجي. (ينظر: علي عبد المعطي، لايبنتز، ص 263).

وما هو قائم على مبدأ السبب الكافي، فالحقائق الضرورية والأبدية عند لايبنتز - وهي بمثابة الأفكار الواضحة والمميزة عند ديكارت - هي ذرات أولية (A priori) عند لايبنتز، وهي محتاجة إلى الذرات الثانوية (A posteriori) التي هي بمثابة الأفكار البسيطة عند لوك لكي يتضافرا معاً في تكوين المعرفة وتشكيلها⁽¹⁾. فالمعرفة الصحيحة يجب أن تتصف بصفتين: الضرورة والكلية، والغرض من معرفتنا هو الوصول إلى مذهب شامل لكل العلوم، محكم الترابط، برهاني، مؤلف من حقائق ضرورية وكلية⁽²⁾.

الاستنتاجات:

يمكن الإشارة إلى أبرز نتائج البحث وعلى النحو التالي:

1. لا يمكن فصل نظرية المعرفة عند لايبنتز عن فكرة الجواهر الروحية أو المونادة، نظراً لارتباط الاستمولوجيا بالانطولوجيا في فلسفته.
2. المعرفة عند لايبنتز متدرجة متراتبية، ويؤسس ذلك على مدى اختلاف طوائف الموناد - التي منها يتألف العالم -، وتميز نمط المعرفة الحدسية عن معرفتين الحسية والعقلية تبعاً لمبدأ الإدراكات الواضحة والتميزة.
3. على الرغم من امتزاج نظريته المعرفية بالطابع الروحي، لم يخرج لايبنتز في المضمون المعرفي عن الإطار العقلاني العام، وذلك لاستناده على مبدأي (عدم التناقض) (والعلة الكافية) المنطقيتين في تأسيس دعائم المعرفة ذاتها.
4. أن تكون هنالك جذور ميتافيزيقية لنظرية المعرفة عند لايبنتز، فذلك يعني أنه أسس الميتافيزيقا على العلم، وفي هذا وصف صريح لإسهام ملامح فلسفته في رقد أفكار ورؤى عصر التنوير.
5. الإنسان وحده بين الكائنات الأخرى قادر على بلوغ الحقيقة السامية العليا أو الحقائق الأزلية، وذلك لتميز النفس الناطقة العاقلة والشاعرة عن باقي المونادات في العالم.
6. تقوم فطرية المعرفة واكتسابها على مبدأي هوية اللامتيازات والقاعدة التوفيقية في المعرفة، لذلك جمع لايبنتز بين الطبيعة (الواقعية) لنظرية المعرفة وبين الطبيعة (المثالية) لها.

(1) ينظر: علي عبد المعطي، لايبنتز، ص258.

(2) ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 2، ص391.

7. لقد حددت توفيقية لايبنتز معالم مذهب المناسبة في تفسيره لنظرية الإدراكات، وانتقال المعرفة من حيز (الإمكان) أو القوة إلى حيز (الفعل) أو التحقق، فكان مبدأ التمايز والاختلاط في المعرفة أساساً في بيان مضامين ذلك الانتقال.
8. تميزت نظرية المعرفة عند لايبنتز بطابعها النقدي المتمثل في اختباره لقدرة الإنسان على بلوغ المعرفة والحقائق من جهة، وموقفه النقدي لفلسفتي لوك وديكارت في المعرفة من جهة أخرى.

References

1. Abdul Rahman Badei, Encyclopedia of Philosophy, Zowil Qurbah Publications – Iran, No edition mentioned, 2009, Vol. 2, p. 392.
2. Ahmed Amin, The Story of Modern Philosophy, Classification: Zaki Naguib Mahmoud, Committee for Authorship, Translation, and Publishing – Cairo, No edition mentioned, 1936, p. 192.
3. Ali Abdel Mati, Leibniz: The Philosopher of Spiritual Atoms, Dar Al-Ma'arif Al-Jameiyya – Alexandria, No edition mentioned, 1980, p. 234.
4. Belboula Mustafa, Research (Leibniz's Cartesianism), Al-Academy Magazine for Social and Human Studies, Issue 8, 2012, p. 121.
5. Bertrand Russell, History of Western Philosophy – Modern Philosophy -, Translation: Mohamed Fathi El-Shiniti, Egyptian General Book Organization, No edition mentioned, 2012, Vol. 3, p. 126.
6. Bertrand Russell, Problems of Philosophy, Translation: Abdul Aziz Al-Bassam and Mahmoud Ibrahim Ahmed, Nahdat Masr Library, 2nd edition, 1947, p. 8.
7. Emile Bréhier, History of Philosophy, - Seventeenth Century -, Translation: Georges Tarabichi, Dar Al-Taliaa for Printing and Publishing – Beirut, 2nd edition, 1993, Vol. 4, p. 313.
8. Francois Grégoire, The Great Metaphysical Problems, Translation: Nahad Reda, Dar Maktabat Al-Hayat – Beirut, No edition mentioned, No date mentioned, pp. 33-34.
9. George Wilhelm Leibniz, An Essay on Metaphysics, Translation: Al-Tahir Bin Qaizah, Center for Arab Unity

- Studies – Arab Organization for Translation (Beirut), 1st edition, 2006, p. 122.
10. George Wilhelm Leibniz, *Monadology and the Rational Principles of Nature and Divine Grace*, Introduction, Translation, and Commentary by Dr. Abdel Ghaffar Makawi, Dar Al-Thaqafa Lil Tabaa Wa Al-Nashr – Cairo, No edition mentioned, 1978, p. 125.
 11. George Wilhelm Leibniz, *New Research in Human Understanding*, Introduction, Translation, and Commentary by Dr. Ahmed Fouad Al-Ahwani, Dar Al-Thaqafa Lil Nashr Wa Al-Tawzi, Egypt, No edition mentioned, 1983, p. 295.
 12. Ibrahim Mustafa Ibrahim, *Modern Philosophy from Descartes to Hume*, Dar Al-Wafa for Printing and Publishing – Alexandria, No edition mentioned, 2000, p. 233.
 13. Jalal Sadik Al-Azim, *Studies in Modern Western Philosophy*, Dar Al-Awda – Beirut, 3rd edition, 1979, p. 12.
 14. Jean Gafie Rodriguez Lewis, *Descartes and Rationalism*, Translation: Abdo El-Halou, Awidat Beirut – Paris, 4th edition, 1988, pp. 113-114.
 15. Kareem Matta, *Modern Philosophy – A Critical Overview*, Benghazi University Publications (Faculty of Arts), 1974, pp. 147-148.
 16. Nazli Ismail Hussein, *Criticism in the Age of Enlightenment – Kant -*, Dar Al-Nahda Al-Arabiyya – Cairo, 2nd edition, No date mentioned, pp. 77-78.
 17. *Reading of the Philosophical Term*, Translation and Preparation by Dr. Safaa Abdul Salam Jaafar, Foreword by Dr. Habib Al-Sharouni, Dar Al-Thaqafa Al-Ilmiyya – Alexandria, 1st edition, 1998, p. 55.
 18. Richard Schacht, *Pioneers of Modern Philosophy*, Translation: Ahmed Hamdi Mohamed, Egyptian General Book Organization, No edition mentioned, 1997, p. 62.
 19. William Cleary Wright, *History of Modern Philosophy*, Translation: Dr. Mahmoud Saeed Ahmed, Introduction and Review: Dr. Imam Abdel Fattah Imam, Al-Tanweer for Printing and Publishing – Beirut, 1st edition, 2010, p. 143.

Leibniz's theory of knowledge

Ziad Kamal Mustafa *

Abstract

Leibniz's rationality of the theory of knowledge is characterized by two fundamental features: the first is the conformity between the theoretical methodological fundamentals of knowledge and the metaphysical roots of human knowledge. The second is his attempt to conform between philosophical patterns opposite in their stance to the knowledge. So, to what extent the monad philosopher contributed to setting up logical pillars for the knowledge?. How successful was he in linking the epistemology to ontology?. And how influential was he in establishing a critical stance compatible with the knowledge?, These questions are the core of the present research .

Key words: Knowledge, Monad, Metaphysics, The appropriate doctrine .

* Asst.Prof./ Department of Philosophy / College of Arts / University of Mosul.